

ألوان البديع في سورة الكهف

(دراسة بلاغية تحليلية)

Figurative Language In The Cave Sorah
(Analytical And Rhetorical Study)

إعداد

سلمان سالم سلامة الحسوني

إشراف

الأستاذ الدكتور سعود محمود عبد الجابر

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في

اللغة العربية وآدابها

قسم اللغة العربية

كلية الآداب والعلوم

جامعة الشرق الأوسط

كانون اول-2016

تفويض

أنا سلمان سالم سلامة الحسوني أفوّض جامعة الشرق الأوسط بتزويد نسخ من رسالتي ورقياً وإلكترونياً، للجامعة وللمنظمات، والهيئات والمؤسسات المعنية بالأبحاث والدراسات العلمية عند طلبها.

الإسم: سلمان سالم سلامة الحسوني

التاريخ:2016/12/21

التوقيع:

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة وعنوانها: ((ألوان البديع في سورة الكهف))

وأجيزت بتاريخ: / / .

أعضاء لجنة المناقشة:

1- أد. سعود عبد الجابر رئيساً ومشرفاً جهة العمل: جامعة الشرق الاوسط

التوقيع:...........

2- د. جمانة السالم عضواً جهة العمل: جامعة الشرق الاوسط

3- التوقيع:..........

4- أد. ابراهيم الكوفحي ممتحناً خارجياً جهة العمل : الجامعة الاردنية

5- التوقيع:..........

كلمة شكر وامتنان وثناء وعرفان

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد:-

بعد أن وفقني الله – عز وجلّ- لإتمام هذه الرسالة لا يسعني إلا أن أتقدم بأسمى آيات الشكر والامتنان والعرفان لكل من كانت يده عوناً لي، وأخص بالذكر أستاذي الدكتور سعود عبد الجابر الذي أفرغ عليّ صبره، ولم يتوان عن إسداء النصح والإرشاد لي، لنصل إلى هذا اليوم.

والشكر لأخي في الله معاذ صالح الذي أعانني على طباعة هذه الرسالة.

كما أتقدم بالشكر إلى الأساتذة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة الذين تفضلوا عليّ بقبول مناقشة هذه الرسالة؛ لتقويم اعوجاجها، وسد ثغراتها...

قائلاً لكم: جزاكم الله كل خير ونفع بكم البلاد والعباد.

الإهداء

إلى من سقط شهيداً على ثرى فلسطين...

والدي الحبيب...

إلى من عرفتها بدموعها تنهمر إذا ما شعرت بي يوماً...

والدتي الغالية...

إلى من صبرت معي على أيام صعبة...

زوجتي الحبيبة...

إلى من يدخلون السرور على قلبي إذا ما رأيتهم...

فلذات كبدي أولادي...

إلى إخواني وأخواتي رفقاء مشوار حياتي...

أشقائي وشقيقاتي...

إلى أحبابي وأصدقائي...

إلى كل هؤلاء...

أهدي ريع ما زرعت...

الباحث

قائمة المحتويات

ألوان البديع في سورة الكهف

(دراسة بلاغية تحليلية)

إعداد

سلمان سالم سلامة الحسوني

إشراف

الأستاذ الدكتور سعود محمود عبد الجابر

الملخص

تناولت هذه الرسالة (سورة الكهف) في دراسة بلاغية تحليلية لجوانب علم البديع التي وردت فيها، لإثبات أن هذا العلم ليس زائداً في آيات السورة، بل جاء لوظائف بلاغية لإظهار المعنى المقصود بصور بلاغية شتى.

إذ حاولت جاهداً الكشف عن جوانب هذا العلم في آيات السورة بدراسة كتب التفسير البلاغية وكتب البلاغة والإعجاز القرآني.

إذ تبين لي بعد استقراء الآيات، أن السجع (الفاصلة القرآنية) هي أكثر ما ورد في هذه السورة.

كما تبين وجود آيات أخرى أقل من السجع تحوي طباقاً، لأن السورة احتوت على متضادات كثيرة مثل (الإيمان والكفر) و (عمل الصالحات وعمل السيئات) وغيرها.

وتبين أيضاً ورود أنواع من البديع لكنها أقل من السجع والطباق.

كلمات مفتاحية : سورة الكهف، علم البديع، المحسنات اللفظية، المحسنات المعنوية.

Figurative Language In The Cave Sorah

(Analytical And Rhetorical Study)

Researchur name

Salman S.S Alhasouni

Supervision

P.D Sooud Abd aljaber

Abstract

This study aimed to search the rhetorical analysis of Surah Al-Kahf of for the aspects of the science that called Rhetoric science "albadee' science ".

This study came to prove to that this science is part of each verse in the holy Quran where it gives it deeper meaning and Rhetoric sides.

I did a lot of reading and searching into all the aspects of Rhetoric science using the books of Tafseer and Quran if miracles.

After I tried hard to find more facts about this science, it shows that surah Alkahf used the rhymes in most of the verses.

There are also some verses used less rhymes but more synonyms and antonyms.

As (faith and unbelief) and (those who do good deeds and the ones who do bad deeds) and others.

Finally I found out that there are more different aspects of the Rhetoric science mentioned in it where it's less used such as the metaphors and the semantics.

Key words: The Cave Sorah, Figurative Language, Improvers Verbal, Improvers Moral.

الفصل الأول

خلفية الدراسة وأهميتها

- المقدمة.
- مشكلة الدراسة وأسئلتها.
- أهداف الدراسة.
- أهمية الدراسة.
- حدود الدراسة.
- مصطلحات الدراسة.

- **1)المقدمة :**

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على خيرة خلق الله محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد:

تعد الدراسات اللغوية البلاغية لكتاب الله العزيز من أجل الدراسات وأجزلها مثوبة عند الله تعالى ، إذ إنها تبرز الإعجاز اللغوي والبلاغي للقرآن العظيم، فأجل العلوم وأشرفها الدراسات المتعلقة بكتاب الله استنباطا، وعلما، ودراسة، ودراية.

والدراسات البلاغية عديدة ، وتناولت جوانب مهمة من القرآن الكريم ، والبحث هذا الموسوم (ألوان البديع في سورة الكهف / دراسة بلاغية تحليلية) يتناول جانباً بلاغياً من القرآن الكريم ويسلط الأضواء على مزية من مزايا لغتنا العربية التي تشرفت أن نزل القرآن بلسانها.

وأهمية هذا البحث تنبع من أهمية المادة المدروسة ألا وهي سورة الكهف وهي جزء من كتاب الله الكريم وسورة الكهف لها مكانتها وأهميتها بين سور القرآن.

سورة يواظب المسلم على قراءتها كل جمعة ومن الجميل أن يعلم المسلم ما تحويه هذه الآيات من مباحث في علم البديع ، لأن البديع يزين ويحسن الكلام ويزيده بهجة وبهاء ، فيزداد المسلم تخشعا لله ويزداد إقبالا على تلاوت الآيات بفهم وتدبر.

وما ستقوم به هذه الدراسة في طيات صفحاتها هو إظهار وبيان لمكمن الإعجاز البلاغي لآيات من كتاب الله، إظهار لجوانب علم البديع وألوانه في آيات سورة الكهف، دراسةً وتفسيراً وتحليلاً للجوانب الإعجازية البلاغية ، مجتهداً قدر الإمكان في تطبيق علم البديع على السورة.

وهذه الدراسة تجسد أنموذجاً تطبيقياً للدراسات البلاغية التحليلية بمنهج استقرائي لكتب من كتب التفسير والإعجاز البلاغي للخروج بأن علم البديع في القرآن ليس طلاءً خارجياً للآيات والسور القرآنية ، وإن ألفاظ القرآن معجزة فلا يمكن بحال من الأحوال الإتيان بلفظة لتحل محل أي لفظ في القرآن ، فالألفاظ والتراكيب القرآنية معجزة بحد ذاتها ، لأن قائلها سبحانه وتعالى قد أعلن التحدي في غير ما آية من القرآن على الإتيان بالقرآن أو عشر سور أو آيات تشابه أو تناظر أو تكافؤ آيات الله سبحانه وتعالى .

ويبقى التحدي الأول والإعجاز الأول الإعجاز اللغوي البلاغي للقرآن الكريم قائماً من مبعثه عليه السلام وتنزل الآيات عليه، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها..

2) مشكلة الدراسة وأسئلتها:

ستحاول هذه الدراسة أن تجيب عن الأسئلة الآتية:

أ) ما عناصر المحسنات اللفظية والمعنوية في سورة الكهف؟

ب) ما الإضافات الجمالية واللغوية، للمحسنات اللفظية والمعنوية في سورة الكهف؟.

ج) ما مكمن الإعجاز الحقيقي في القرآن عامة وسورة الكهف خاصة؟

3) بالنظر إلى أسئلة البحث التي تقدمت فيما سبق فأهداف البحث :

أ) الكشف عن المحسنات البديعية في سورة الكهف.

ب) تبين كيفية إسهام تلك المحسنات اللفظية والمعنوية في بناء السورة.

ج) الكشف عن المكمن الحقيقي للإعجاز في سورة الكهف.

4) أهمية الدراسة:

* تصبو هذه الدراسة لزيادة المعرفة البلاغية وخاصة بلاغة القرآن العظيم.

* تتطلع هذه الدراسة أن يكون هذا البحث مرجعاً من المراجع الأدبية البلاغية القرآنية في مكتبة الجامعة والجامعات المحلية والعالمية.

* هذا البحث مرجع للدراسات القرآنية مسهم في فهم جانب من بلاغة القرآن من ناحية علم البديع ولإدراك بعض أسرار القرآن ومعجزاته.

5) حدود الدراسة :

اقتصر هذا البحث على الجوانب البديعية من محسنات لفظية ومعنوية في سورة الكهف فقط وما أضافته هذه المحسنات من جمالية بلاغية على آيات السورة.

6) مصطلحات الدراسة :

تعريف البديع لغة واصطلاحا:

البديع لغة: بَدَعَ : بدع الشيء يبدعه إبداعا ، وابتدعه : أنشأه وبدأه ... والبديع والبدع الشيء الذي يكون أولا ، وفي التنزيل " قل ما كنت بدعا من الرسل ".

والبديع : المحدث العجيب ، وابتدعت الشيء : اخترعته لا على مثال.

والبديع : من أسماء الله تعالى ... فبديع : فعيل بمعنى فاعل مثل قدير قادر...

وسقاء بديع : جديد ... والبديع : الزق الجديد والسقاء الجديد.(ابن منظور ، 2003 ، باب بدع)

البـديع : المبتـدِع والمبتـدَع وحبـل ابتـدئ فتلـه ولـم يكـن حـبلا فنكـث ثـم غـزل ثـم أعيـد فتلـه والزق الجديد

والغاية في كل شيء وإبداعٌ وبُدُع كعنق وهي بدعة.

(الفيروز آبادي ، 1983 ، باب العين فصل الباء)

(بـدعت الشـيء إذا أنشـأته ، والله عـز وجـل بـديع السـماوات والأرض أي منشـئوها وبُـدَعتُ الركي إذا استنبطها ، وركي بديع : حديثة الحفر.

وتقـول العـرب لسـت ببـدع فـي كـذا وكـذا أي لسـت بـأول مـن أصـابه هـذا وهـو مـن قولـه عـز وجل " قل ما كنت بدعا من الرسل ") (ابن دريد ، 1987، باب الباء مع الدال)

تعريف البديع اصطلاحا:

1) **علـم البـديع** : علـم يعـرف بـه وجـوه تحسـين الكـلام بعـد رعايـة مطابقـة الكـلام لمقتضـى الحال ورعاية وضوح الدلالة أي الخلو من التعقيد المعنوي.

(الجرجاني ، 1998 ، 110).

2) البـديع : النـادر وعلـم البـديع علـم يعـرف بـه وجـوه تحسـين الكـلام بعـد رعايـة المطابقـة بمقتضى الحال ووضوح الدلالة. (القاضي عبد النبي ، 2000 ، 232)

3) البديع : اسم موضوع لفنون من الشعر يذكرها الشعراء ونقاد المتأدبين.

(ابن المعتز ، 1990 ، 58).

4) البـديع : علـم تعـرف بـه الوجـوه والمزايـا التـي تكسـب الكـلام حسـناً وقبـولاً بعـد رعايـة المطابقة لمقتضى الحال التي يورد فيها وضوح الدلالة.

(المراغي، 1980، 295)

*** مفهوم التعريف الإجرائي لعلم البديع :**

هـو العلـم الثالـث مـن فنـون البلاغـة يزيـد الكـلام بهـاءً وزينـةً وإحساسـاً بالجمـال والمتعـة ومخاطبـة المشـاعر بعـد رعايـة المطابقـة لمقتضـى الحـال ووضـوح الدلالـة دون تكلـف وصنعة وإلا أصبح الكلام لا روح فيه.

الفصل الثانـي

الإطار النظري والدراسات السابقة...

- الإطار النظري.
- الدراسات السابقة.
- ما يميز هذه الدراسة عن الدراسات السابقة.
- منـهجية الدراسة.
- الطريقة والإجراءات.
- تنظيم الدراسة.

1)الإطار النظري:

من الكتب التي تناولت فن البديع في القرآن الكريم بعض كتب التفسير وكتب البلاغة.

***كتب التفسير :**

1) الزمخشري: (سنة 1983م) في كتابه الموسوم تفسير (**الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل**).

وأما كتابه الكشاف فهو كتاب تفسير وهو جيد من حيث البلاغة واللغة.

(وامتاز الزمخشري ببراعته في علوم البلاغة واللغة وظهر ذلك جليا في تفسيره فالقارئ في كتابه يجده كثير التبحر في اللغة حيث يذكر القراءات والإعرابات بين الكتاب وما في القرآن من الثروة البلاغية والإعجاز التي كان لها كبير الأثر في عجز العرب عن معارضته والإتيان بمثله) (الذهبي ، 2000 ، 45)

أفاد الباحث من هذا الكتاب بيان الوجوه البلاغية الإعجازية في الآيات المراد بحثها من سورة الكهف.

2) ابن عاشور : (1984م) في كتابه الموسوم تفسير (**التحرير والتنوير**)، والقارئ في تفسيره يستطيع أن يتبين منهجه وخطواته في تفسيره فقد قدم لتفسيره بمقدمات عشرة لها صلة بالتفسير وعلوم القرآن:

المقدمة الأولى : في التفسير والتأويل.

المقدمة الثانية : في استمداد علم التفسير .

المقدمة الثالثة : في صحة التفسير بغير المأثور ومعنى التفسير بالرأي.

المقدمة الرابعة : غرض المفسر.

المقدمة الخامسة : أسباب النزول.

المقدمة السادسة: في القراءات.

المقدمة السابعة : القصص القرآني.

المقدمة الثامنة : ما يتعلق باسم القرآن وآياته.

المقدمة التاسعة : المعاني التي تتحملها جمل القرآن.

المقدمة العاشرة : في إعجاز القرآن.

ثم بعد هذه المقدمات بدأ بتفسير القرآن ونلاحظ في تفسيره حرصه على إظهار الصلات والروابط بين الآيات الكريمة وإبرازها كنسيج واحد.

ويهتم كذلك بالقراءات ويذكر في تفسيره أحاديث تؤيد التفسير ويناقش في تفسيره ما كان قابلاً للنقاش ويرجح ما يراه مناسبا مع دليله.

ومن مصادره في تفسيره (تفسير الطبري /الزمخشري / ابن عطية / الرازي / القرطبي/ البيضاوي / أبو السعود / الآلوسي) وأهمها تفسير الزمخشري لأنه ركز على الجوانب البلاغية وكذلك ابن عاشور حاول إظهار الجوانب البلاغية في تفسيره وكذلك الجوانب اللغوية ودقائقها وحاول إظهار الآداب والأخلاق التي تحض عليها الآيات.

ومع أنه كان مالكي المذهب إلا أنه لم يكن متعصباً لمذهبه.

أما الفائدة التي أفادها الباحث من هذا التفسير فهي المعاني والإعجاز الذي تحملته آيات القرآن الكريم في سورة الكهف بلاغياً وتفسيرياً وكيف أن هذه الألفاظ القرآنية معجزة بذاتها.

***كتب البلاغة:**

1) **الجرجـاني**: (سـنة 1948م) وكتابـه الموسـوم (**أسـرار البلاغـة**)، الـذي يعـد أول محاولـة جـادة ترمـي للتمييـز بـين أقسـام البلاغـة وفروعهـا حيـث نجـد أن مؤلفـه المتفـنن فـي ضـروب الخطـاب ، فقـد قـام بدراسـة موضـوعاتها دراسـة وافيـة متأنيـة " فـذكر الفـروق بـين العبـارات ، والفنـون البيانيـة مـن تشـبيه واسـتعارة ومجـاز بتفصـيل ولـم يغفـل الجنـاس والسـجع والطبـاق وقـد ذكرها لبيان مزيتها وحسنها عندما يطلبها المعنى "

وكتابـه بحـث خـالص فـي موضـوعات علـم البيـان، بالإضـافة إلـى بعـض ألـوان مـن البـديع هي الجناس، والسجع، والطباق.

ويمكـن إجمـال الموضـوعات التـي تطـرق لهـا الجرجـاني فـي كتابـه فـي ثلاثـة موضوعات :

أولا : حـديث عـن اللفـظ والمعنـى وتأكيـد أهميـة المعنـى فـي الكـلام، وأن الجـودة فيـه مردهـا إلـى المعنـى دون اللفـظ وعلـى هـذا فـإن ألـوان البـديع إنمـا يعـود الحسـن فيهـا إلـى المعنـى دون اللفظ .

ثانيـا: حـديث عـن التشـبيه والتمثيـل والاسـتعارة مميـزا بـين حـد كـل منهـا والفـروق التـي تميـز بين معاني هذه الألوان البيانية.

ثالثـا : حـديث عـن الحقيقـة والمجـاز بنوعيـه : اللغـوي والعقلـي ، ومحاولـة التمييـز بـين مفهـوم كل نوع منهما إلى حديث مختصر عن السرقات الشعرية.)

(النقر ، 2009،بتصرف).

أفـاد الباحـث مـن هـذا الكتـاب كيـف أن الكـلام الـذي يحـوي فنونـا بلاغيـة مـن بيـان ومعـان وبـديع يتفاضـل علـى غيـره مـن الكـلام الـذي لا يحويـه، وكيـف أن القـرآن الكـريم الـذي حوى هذه العلوم البلاغية بل وعد مرجعاً لها في إعجازه وبلاغته.

وأفاد الباحث من هذا الكتاب بيان الإعجاز الحقيقي للألفاظ البديعية القرآنية.

2) المراغـي : (سـنة 1980م) وكتابـه الموسـوم **(علـوم البلاغـة)**، ومنهجـه فـي كتابـه أنـه ذكـر اعتمـاده طريقـة المتقـدمين التـي تتوسـع فـي الشـرح والبيـان وتكثـر مـن الأمثلـة والشـواهد والغايـة مـن ذلـك هـي : أن تسـتبين للقـارئ خصـائص البلاغـة مرموقـة محسوسـة ولطـائف الكـلام مجسـمة ملموسـة ويسـهل تطبيـق العلـم علـى العمـل والإجمـال علـى التفصـيل وذلـك أمثل الطرق.

مـن قـرأ كتابـه لوهلـة خاطفـة يـرى سلاسـة اللفـظ، ووضـوح العبـارة، ورشـاقة المعنـى، واسـتهل كتابـه بتقـديم نبـذة مـن تـاريخ علـوم البيـان ومـدى الحاجـة إلـى وضـع قواعـدها مبينـا أن أول مـن دون هـذا العلـم هـو تلميـذ الفراهيـدي أبـو عبيـدة معمـر بـن المثنـى فـي كتابـه (مجـاز القـرآن) ، ثـم يوضـح بإيجـاز أهـم العلمـاء الـذين نهـض علـى سـواعدهم هـذا العلـم ، وبعـد ذلـك يتحـدث عـن حقيقـة الفصـاحة والبلاغـة ثـم يتطـرق للإنشـاء والتمنـي والاسـتفهام والأمـر والنهـي والنـداء والـذكر والحـذف ، ثـم يفصـل القـول فـي التقـديم وأقسـامه والفـرق بـين النكـرة والمعرفـة مـع إعطـاء نمـاذج ثـم يعقبـه فـي فصـل مـن سـتة مباحـث عـن القصـر وتعريفـه فـي اللغـة والاصـطلاح ، ثـم يتحـدث بعـد ذلـك عـن الفصـل والوصـل ويـوفي الحـديث عـن الإيجـاز والإطناب والمساواة ، ومن ثم الحديث عن أسرار البلاغة في الإيجاز والإطناب.

وقـد أفـاد الباحـث مـن هـذا الكتـاب بيانـاً وشـرحاً لأقسـام علـم البـديع وتطبيقهـا علـى آيـات سـورة الكهف.

3) **الجرجــاني:** (سـنة 1998م) فـي كتابـه الموسـوم كتـاب **(دلائــل الإعجــاز)**، والـذي يبحـث فيــه عــن الــنظم وصـــلاته الوثيقــة بــالمعنى ، وأنـــه هــو الــذي تقــع فيــه المزيــة وهــو موضـــع الفصاحة ومكانها .

وقد ربط النظم بمعاني النحو ووجوهه، فأوجد صلة بين النحو والبيان، ويثبت في كتابه أموراً على جانب كبير من الأهمية منها :

1) المزية والبلاغة التي كان بها الإعجاز هي في النظم لا في اللفظ أو المعنى.

2) النظم : هو توخي معاني النحو وأحكامه وهو متصل بالمعنى اتصالا وثيقا.

3) السجع والتجنيس يتبعان المعنى وفي هذا غناهما.

وجـاء الكتـاب علــى فصـول، كـان أولهـا تقـديم مـوجز تحـدث فيـه عـن الـنظم وعرفـه وفـي آخـر التقـديم ،ويتسـاءل عـن سـر الإعجـاز القرآنـي ويفـيض فـي مقدمتـه فـي فضـل العلـم عامـة وفضـل علـم البيـان خاصــة؛ مبينــاً أنــه الأداة لمعرفـة الإعجـاز ، ثـم يتحـدث فـي فصـل جديـد عـن خطـأ مـن يزهـد فـي الشـعر ويصـرف عنـه وينفـر منـه ،كمـا يتحـدث عـن خطـأ مـن يزهـد فـي النحـو وخطـأ مـن يزهـد فـي العلـم بمعـاني البيـان والفصـاحة والبلاغـة ، ويـذكر بعـدها معنـــى البلاغـــة والفصـــاحة والبيـــان ،ثـم فـــي فصـــل آخـــر أن نظـــم الكـــلام يقتفـــى فيـــه آثـــار المعـاني ،ثـم يعـرض لوجـوه كثيـرة مـن بلاغـة اللفظـة المفـردة كالمجـاز والكنايـة والاسـتعارة والتمثيـل ووجـوه مـن بلاغـة الـنظم ،مـن تقـديم وتـأخير وفصـل ووصـل وغيرهـا، كمـا يعـرض للمجـاز العقلـي وبلاغتـه ويفـيض فـي شـرح أسـرار الـنظم فـي الكتـاب كلـه حتـى يكـاد يكـون الكتاب موقوفا على شرح نظريته في النظم والتطبيق عليها.

أفـاد الباحـث مـن هـذا الكتـاب بيـان أن البـديع الـذي اسـتخدم فـي آيـات سـورة الكهـف تابع للمعنى ولا يمكن الاستغناء عنه فنظم ألفاظ القرآن وإعجازه في اللفظ والمعنى.

4) الهاشـــمي: (سـنة 1999م) وكتابـه الموسـوم **(جــواهر البلاغــة)**، حيـث افتتحـه بتمهيـد فـي كـلام مختصـر عـن فائـدة علـم الصـرف، والنحـو، والبيـان، والمعـاني، والبـديع، ومـن ثـم مقدمـة عـن الفصـاحة والبلاغـة وتعريـف كـل منهمـا ، مـع أمثلـة تطبيقيـة وتـدريبات علـى مـا شـرحه المؤلـف، ثـم ابتـدأ بعلـم المعـاني تعريفـا، وموضـوعا، وفائـدة، وعقـد لـه تسـعة أبـواب، ابتــدأها بــالخبر، ثــم الإنشــاد، والإســناد، ثــم الإطــلاق، والتقييــد، وأحــوال متعلقــات الفعــل، والوصـل، والفصـل، والإيجـاز، والإطنـاب والمسـاواة، ثـم ثنـى بعلـم البيـان وعقـد لـه أبوابـاً ثلاثـة فــي التشــبيه والمجــاز والكنايــة وثلــث بعلــم البــديع وقســمه فــي بــابين للمحســنات اللفظيــة والمعنوية مكثراً في كتابه من الأمثلة التطبيقية ملحقاً إياها بتدريبات.

وأفـاد الباحــث مــن هـذا الكتــاب فــي بيــان فائـدة علـوم البلاغـة فـي كـلام العـرب وتطبيـق تقسيمات علم البديع من الكتاب على آيات سورة الكهف.

2) الدراسات والبحوث السابقة:

إن عنــوان البحــث الــذي اخترتــه (ألــوان البــديع فــي ســورة الكهــف) ومــن خــلال البحــث والدراسـة تبـين وجـود عنـوان بحـث موسـوم بــ (المحسـنات اللفظيـة والمعنويـة فـي سـورة الكهـف) لكن هذا البحث لم يكن سوى بحث إحصائي أكثر منه بلاغيا .

وهنـاك عنـاوين أخـرى للبحـوث تناولـت جوانـب مـن البـديع فـي سـور قرآنيـة محـددة وعلـم البـديع في ضوء القرآن الكريم ، وكان من أهمها :

1) علان (سنة 2002م) في دراسته الموسومة (البديع في القرآن أنواعه ووظائفه)

إلى الأجناس البديعية في القرآن الكريم ووظائفها اللغوية أو المعنوية أو الجمالية في السياقات المختلفة وهو كتاب خاص في بديع القرآن ليدلل الباحث على إعجاز القرآن ويبين الوظائف

البلاغية لعلم البديع في الآيات القرآنية بعد أن بسط أنواع البديع، ثم أبان الظلال التي أضفتها الأنواع البديعية في القرآن بعد أن قسمها إلى محسنات لفظية ومعنوية.

2) حسين (سنة 2003م) في دراسته الموسومة (علم البديع وبلاغته في ضوء القرآن الكريم / دراسة بلاغية تحليلية) عرض جمال البديع في القرآن الكريم ودلالته البلاغية وكيف أنه لم يرد في القرآن الكريم عن صنعة وتكلف ، وجاء ببعض الأمثلة من القرآن الكريم تحوي فناً من البديع شرحاً وتحليلاً والوقوف وراء الدلالات البلاغية فيها وكذلك إبراز الأفكار التي تحيط بالخطاب البلاغي في القرآن الكريم فيما يختص بعلم البديع.

3) الحسني (سنة 2007م) في دراستها الموسومة (المحسنات اللفظية في سورة الكهف دراسة تحليلية بلاغية بديعية)إلى الآيات التي فيها محسنات لفظية وشرحت بعض معانيها مستخدمة المنهج الوصفي وشرحت بعضاً من الآيات من التفاسير وكتب البلاغة ثم عرضت خاتمة لبحثها وخلاصة وضعت فيها جداول للآيات التي حوت المحسنات اللفظية في سورة الكهف ، وكانت الدراسة عبارة عن عرض وصفي أكثر مما هو بلاغي للآيات القرآنية أو التطرق في كثير من الآيات لجانب الإعجاز في اختيار الألفاظ القرآنية .

4) رافعة (سنة 2007م) في رسالتها الموسومة (المحسنات اللفظية والمعنوية في سورة الكهف)الآيات التي تحوي المحسنات اللفظية والمعنوية في سورة الكهف بطريقة وصفية محضة للآيات مع عرض مبسط للنواحي البلاغية إذ إن الغرض هو إحصاء لبعض الآيات مع إظهار بعض الصور البلاغية دون إغراق في الجانب البلاغي.

5) حـاج ابـراهيم (سـنة 2008م) فـي دراسـته الموسـومة (مـنهج الجرجـاني فـي تحليـل الـنظم وتطبيقاتـه فـي سـورة الكهـف دراسـة بلاغيـة تحليليـة)دور الجرجـاني فـي إظهـار معنـى التعـالق اللفظـي وربـط بـين علـم النحـو ونظريـة الـنظم التـي طورهـا الجرجـاني وبيـان أن نظريـة الـنظم تـدور حولهـا جميـع أنـواع البلاغـة الثلاثـة (البيـان / المعـاني / البـديع) وبـين الباحـث تطبيقيـاً الـنظم البلاغـي فـي صـوره الثلاثـة فـي سـورة الكهـف وكيـف أن البلاغـة أبـرزت دلالات تراكيـب الآيـات ومعانيهـا وقـد تنـاول الباحـث ممـا يعنينـا جوانـب مـن علـم البديع دون أن يفرق في أنواعها.

6) حسـن (سـنة 2009م) فـي رسـالته الموسـومة (أهميـة علـم البـديع وأثـر ألوانـه وفنونـه فـي قـوة الكـلام وبلاغتـه)أهميـة علـم البـديع فـي قـوة الكـلام وبلاغتـه ومدخلـه فـي الإعجـاز القرآنـي ويـرى الباحـث أن لألـوان البـديع أثـراً فـي قـوة الكـلام فلـو فقـد البـديع فـي هـذا الكـلام لفقـد قوتـه وأن علـم البـديع وفنونـه لا تقـل شـأناً فـي إظهـار روعـة القـرآن الكـريم عـن علمي البيان والمعاني .

3) ما يميز الدراسة عن الدراسات السابقة :

الدراسـة التـي يتقـدم بهـا الباحـث تفيـد مـن الدراسـات السـابقة فـي تعـرف علـى بعـض المحسـنات اللفظيـة والمعنويـة فـي سـورة الكهـف إحصـائياً وكانـت أيضـا بمثابـة منطلـق للبحـث في التعرف على هذه المحسنات.

وممـا يميـز هـذه الدراسـة مـن الدراسـات السـابقة مناقشـتها البلاغيـة للآيـات التـي احتـوت علـى علـم البـديع، وإظهـار الطـابع البلاغـي الجمـالي لعلـم البـديع فـي السـورة، و أنـه لـم يكـن طـلاء خارجيـا يمكـن الاسـتغناء عنـه بـل ركيـزة أساسـية فـي إظهـار المعنـى المقصـود

والمـراد الـذي أراد سـبحانه إيصـاله لنـا عبـر رسـائل مـن آياتـه ظهـرت فـي قصـص السـورة وآياتها الوعظية والإرشادية.

4) منهجية الدراسة:

سيعتمد الباحـث فـي هـذه الدراسـة المـنهج الوصـفي والتحليلـي فـي تتبـع الآيـات التـي احتوت المحسنات اللفظية والمعنوية والوقوف على الجانب البلاغي المراد من الآيات.

5) الطريقة والإجراءات :

تقـوم هـذه الدراسـة علـى أسـاس اسـتقراء الآيـات التـي حـوت المحسـنات اللفظيـة والمعنويـة فـي سـورة الكهـف ، ودراسـتها دراسـة بلاغيـة تحليليـة لتبـين مـدى أهميـة هـذه المحسنات في بناء الآيات وإظهار المعنى المقصود من الآيات.

وتتناول هذه الدراسة مجموعتين :

أولا: مجموعة من الآيات حوت المحسنات اللفظية.

ثانيا : مجموعة من الآيات حوت المحسنات المعنوية.

6) تنظيم الدراسة:

تقع هذه الدراسة في خمسة فصول :

الفصل الأول : ويشتمل على المباحث الآتية:

1) المقدمة.

2) مشكلة الدراسة وأسئلتها.

3) أهمية الدراسة.

4) حدود الدراسة.

5) مصطلحات الدراسة.

الفصل الثاني : ويشتمل على المباحث الأتية :

1) الإطار النظري.

2) الدراسات السابقة.

3) ما يميز هذه الدراسة عن الدراسات السابقة.

4) منهجية الدراسة.

5) الطريقة والإجراءات.

6) تنظيم الدراسة.

الفصل الثالث :علم البديع ووظائفه البلاغية :

ويشتمل على:

1) تمهيد.

2) المحسنات المعنوية.

3) المحسنات اللفظية.

الفصل الرابع : المحسنات المعنوية الواردة في سورة الكهف.

ويشتمل على دراسة تطبيقية حول المحسنات المعنوية الواردة في السورة ومناقشتها وتحليلها تحليلا بلاغيا وبيان أثر هذه المحسنات في إظهار المعنى المراد إيصاله لذهن القارئ.

الفصل الخامس : المحسنات اللفظية الواردة في سورة الكهف.

يشتمل على دراسة تطبيقية حول المحسنات اللفظية الواردة في السورة ومناقشتها وتحليلها تحليلا بلاغيا وبيان أثر هذه المحسنات في إظهار المعنى المراد إيصاله لذهن القارئ.

الفصل الثالث

علم البديع ووظائفه البلاغية

- تمهيد.
- المحسنات المعنوية.
- المحسنات اللفظية.

تمهيد: •

قسم البلاغيون المحسنات البديعية إلى نوعين :

فضرب يرجع إلى المعنى ؛ وهو المحسنات المعنوية.

وضرب يرجع إلى اللفظ ؛وهو المحسنات اللفظية.

فالمحسنات المعنوية ترجع إلى مسائل المعاني التي ترد في الكلام ، دون النظر إلى اللفظ؛ أي أن المعنى لا يتغير إذا استبدل اللفظ بمرادفه، فعناية المنشئ تتجه إلى المعاني ، والنظر في إقامة علاقات بعينها ، قد تكون وفق تقسيم سنأتي على ذكره فيما بعد.

أما المحسنات اللفظية ؛ فتأخذ بنظر الاعتبار الألفاظ التي يسبب وجودها في الكلام نمطاً بديعيا معيناً، فإذا استبدلت الألفاظ بغيرها اختفى النمط البديعي.

أي أن المنشئ يصرف عنايته إلى إقامة علاقة معينة بين الألفاظ ، بهدف خلق جو موسيقي.

وقد تحدث القدماء طويلاً عن هذه المحسنات ، وصرفوا جهداً عظيماً في تتبع أنواعها ، وأنماطها في الكلام شعراً ونثراً، فمنهم من قسمها إلى لفظية ،ومعنوية، ومنهم من لم يعر ذلك اهتماماً؛ لأن الأمر متداخل تقريباً بين المحسنات اللفظية والمعنوية ، فليس صعباً أن يكون محسن لفظي معنوياً أيضاً ، والعكس صحيح فالأساس الشكلي الذي جمعت بموجبه المحسنات اللفظية أو المعنوية ليس دقيقاً دائماً... فالتقسيم وهو محسن لفظي لا ينفصل عن المقابلة مثلاً وهو محسن معنوي كما سنرى.

والملاحظ أيضاً أن المحسنات لفظية أم معنوية في تجدد مستمر ، وعند تتبعها من بداية كتابتها عند ابن المعتز إلى يومنا نجد ذلك موجوداً وذلك لأن أساليب التعبير في تجدد مستمر كما هو في تجدد أنواع الشعر وكتابته.

في هذا الفصل سأشرع في ذكر المحسنات البديعية وتقسيماتها من معنوية ولفظية، مبتدئاً بالمعنوية تعريفاً مختصراً بمثال ، ومن ثم اللفظية كذلك، شارعاً بعدها بالتقسيم في مباحث المعنوية، ومن بعدها اللفظية.

قاصراً هذا الفصل على المباحث البديعية التي وردت في سورة الكهف فقط، وذلك حتى يتسنى للقارئ أن يتعرف هذه المباحث البديعية مختصرة دون تطويل قد يمل منه، ومن ثم علقت بعد كل نوع من أنواع البديع على الوظيفة البلاغية والجمالية التي قد تكون خدمت المعنى أو اللفظ حسب الاجتهاد، لأن وضع كل لفظ بديعي في مكانه لا بد أن يكون له وظيفة لم تبن أبداً على الانفصال؛ بل عند قراءة اللفظ في سياقه تتضح الوظيفة البلاغية بشيء من التدقيق فالبديع في سورة الكهف التي ندرسها –بل في القرآن عامة– ما جاء قسراً وتكلفاً ؛ بل جاء منساباً انسياب الماء في النص ، يجمله ويحسنه ويزيد المعنى جمالاً وبهاءً وفائدة مقصودة ، فبمزيد من التمعن في النص القرآني لا بد أن يتضح المعنى للقارئ، وذلك بعد قراءة التفاسير والكتب التي عنيت بجانب البلاغة والإعجاز القرآني.

تنقسم المحسنات البديعية إلى قسمين:–

أولاً: المحسنات المعنوية:

(وهو الذي وجبت فيه رعاية المعنى دون اللفظ، فيبقى مع تغيير الألفاظ).

(أحمد الهاشمي/ ط12/ 360).

كقوله تعالى:﴿ قُلۡ إِن تُخۡفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمۡ أَوۡ تُبۡدُوهُ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُ ﴾

(سورة آل عمران/ الآية 29).

وفيها طباق بين (تخفوا / وتبدوه).

ثانيا: المحسنات اللفظية:

(وهو ما رجعت وجوه تحسينه إلى اللفظ دون المعنى، فلا يبقى الشكل إذا تغير اللفظ) (أحمد الهاشمي/ ط12/ 360).

كقوله عليه السلام: (الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة).

ففي (الخيل / والخير) جناس مطرف.

والمحسنات المعنوية تفضي إلى اللفظ وبالعكس تماماً.

- **المحسنات المعنوية**

أولاً: الطباق.

عرفه السكاكي فقال: (هي أن تجمع بين متضادين كقوله:

أما والذي أبكى وأضحك والذي أمات وأحيا والذي أمره الأمر

(السكاكي/ 1983/ 423).

(وهو نوعان:

1- طباق سلب: وهو أن يجمع بين فعلين من مصدر واحد أحدهما مثبت والآخر منفي وأحدهما أمر والآخر نهي كقوله: (فلا تخشوا الناس واخشون).

2- طباق إيجاب: وهو ما كان تقابل المعنيين فيه بالتضاد ، كقول الشاعر:

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا وأقبح الكفر والإفلاس بالرجل)

(أحمد الهاشمي/ ط12/ 370).

فالطباق يعده كثير من علماء البلاغة من أهم المحسنات البديعية ، لأنه يخدم هدف تحسين اللفظ أو المعنى ، فالطباق أساس جماليّ مهم في النصوص المكتوبة أو المقروءة وتدور حوله إيحاءات جمالية في المعنى عند ورود التضاد في الكلام ، جاذباً القارئ أو السامع ليلج إلى أعماق هذه الكلمات باحثاً عن المعاني.

ونلحظ أن هناك وظائف بلاغية يؤديها الطباق منها إثبات على قدرة الله سبحانه وتذكير بنعمه على عباده ، يوم أن يجمع بين متضادين فلا بد أن يتحرك الذهن مباشرة للمقارنة بين ما يُذكر من ألفاظ متضادة تعطي هذه الفوائد البلاغية الهامّة.

وقد يكون المقصود توضيحاً وتفسيراً لشيء قد يكون مبهماً فيوضحه الطباق ولا ننسى أن هناك وظيفة تعليمية أيضاً قصدت من وراء الطباق.

ثانياً: المقابلة.

(أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو أكثر ثم يؤتى بما يقابل ذلك على سبيل الترتيب، ومنها مقابلة اثنين باثنين وثلاثة بثلاثة وأربعة بأربعة.... ستة بستة.

ومن مقابلة ستة بستة قول الشاعر:

على رأس عبد تاج عز يزينه وفي رجل حر قيد ذل يشينه)

(المراغي/ ط1/ 1980/ 304).

ولهذا الجانب البلاغي كثير من الوظائف البلاغية من إثبات، وتدليل، وتأكيد وتأييد للفكرة المراد إيصالها ، إلى وظيفة جمالية تجذب القارئ أو السامع، وجاءت في مقام التعليم كذلك، وتعظيم الله –سبحانه وتعالى–.

ثالثاً: المبالغة:

سماها ابن المعتز في كتابه البديع (الإفراط في الصفة). (ابن المعتز/1990/ 65).

وذكر لها الأمثلة الكثيرة وقال عنه: (إنه أحد محاسن الكلام والشعر).

(ابن المعتز/ 1990/ 65).

ولا بد أن المبالغة لها معانٍ عدة تشترك مع غيرها فيها ، من إثبات ، وتدليل وتأكيد ، وتأييد لأمر يريده الله –سبحانه–.

وتأتي كذلك لتعظيم أمر مُراد وتهويله أو تهديد بصيغ المبالغة لمن لم يستجب أو يرعوي عما نهى الله أو يستجيب لما أمر.

ومن أمثلتها في القرآن قوله تعالى:﴿ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ ﴾

(سورة الحج/آية2)

فواضح ما فيها من مبالغة، إذ كان يمكن التعبير "يوم تذهل كل أم عن ولدها"؛ لكن الإتيان بهذه الألفاظ فيه من مبالغة مقصدها تهويل وتحذير للناس.

رابعاً: الطي والنشر:

(هو ذكر متعدد مفصل أو مجمل ثم ذكر لكل من آحاده بلا تعيين)

(المراغي /307/1980)

كقوله تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ﴾ (سورةهود/آية 24)

ووظيفته التعليم والتهويل والتهديد، وإثارة الاهتمام ، من أول النص المقصود إلى آخره ، حتى يتضح ويتفسر المعنى المراد والمقصود.

خامساً: الجمع:-

(أن يجمع بين شيئين مختلفين أو أكثر في حكم واحد.

كقول أبي العتاهية:

إن الشباب والفراغ والجدة   مفسدة للمرء أي مفسدة)

(المراغي/ 1980/ 308).

فقصده الإثبات والتأكيد وتوضيح وتفسير لما يريد الله أن يذكره وقد يكون لتعظيم أمر أو تحقيراً واستهزاء وكل ذلك بحسب السياق الذي يقع فيه الجمع.

سادساً: الإبداع:-

أن يكون الكلام مشتملاً على عدة أنواع من البديع ،كقول الشاعر:

نضحت الحياة والبحر جودا فقد   بكى الحيا من الحياء منك والتطم

ففيه من أنواع البديع ما يقرب الخمسة من حسن تعليل وتقسيم ومبالغة...

(الهاشمي/ ط2/ 387).

ولا شك أن فيه زيادة في التوضيح والتفسير المراد إيصاله بأكثر من وسيلة إبداعية ، ثم الوظيفة الجمالية الجاذبة لتلعب دوراً في جذب القارئ أو السامع للمعنى المقصود والمراد.

سابعاً: الاستطراد:-

(الانتقال من معنى إلى آخر متصل به لم يقصد بذكر الأول التوصل إلى ذكر الثاني)

(القزويني/ 1985/ 361)

أو هو (أن يأخذ المتكلم في معنى فبينما يمر فيه يأخذ في معنى آخر وقد جعل الأول سبباً له كقول الله عز وجل: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَـٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ﴾ (فصلت/ آية 39).

فإنه عندما ذكر نزول الغيث وإحياء الأرض ذكر ما يلائمه من الإحياء وهو إحياء الموتى) (العسكري/ ط2/ 414).

يظهر جلياً أن في الاستطراد تنبيه ، وإثارة اهتمام القارئ للمواضيع والأحداث الواردة في الآيات المتلاحقة ، وكذلك تعليم وتعظيم من شأنه سبحانه ، فهو ينتقل من آية لأخرى، وموضع لآخر بحسب ما يريد سبحانه ،دون أن يملّ قارئ أو سامع للآيات وكذلك لا ننسى جانب التوضيح والتفسير الذي يريد ربنا أن يوضحه أو يفسره في غير ما آية باستطراد دون سآمة.

ثامناً: ائتلاف اللفظ مع المعنى:-

ويظهر جلياً من العنوان أن الكاتب لا بد أن يأتي بألفظ تناسب المعاني المراد طرحها وإيصالها للقارئ.

والغاية الأولى منه تعليم، ثم إيضاح وتفسير ، وصورة جمالية واضحة في الألفاظ والمعاني وقد يكون تعظيما أو تنزيها ، فكل القرآن العظيم ألفاظه متناسقة مع المعاني المراد إيصالها، والوظائف البلاغية تتضح تباعاً من آية إلى آية بحسب مايريد جلّ جلاله أن يوصله إلى عباده.

- **المحسنات اللفظية**

أولا: الجناس

عده ابن المعتز الباب الثاني من البديع وسماه التجنيس وعرفه بقوله:

(هو أن تجيء الكلمة تجانس أخرى في بيت شعر وكلام، ومجانستها لها أن تشبهها في تأليف حروفها) (ابن المعتز/ 1990/ 25).

(وهو نوعان: لفظي ومعنوي).

أنواع الجناس اللفظي:

1-الجناس التام: ما اتفق فيه اللفظان في نوع الحروف وعددها وهيآتها من الحركات والسكنات وترتيبها مع اختلاف المعنى.

فإن كان اللفظان المتجانسان من نوع واحد كاسمين أو فعلين أو حرفين سمي الجناس (مماثلاً)....

نحو رَحَبة رَحْبة أي (فناء واسع).

وإن كان من نوعين كفعل واسم سمي الجناس مستوفياً.

كقول الشاعر:

فدارهم ما دمت في دارهم   وأرضهم ما دمت في أرضهم

2- ومنها الجناس غير التام: وهو ما اختلف فيه اللفظان في واحد أو أكثر مما سبق في الجناس التام ، مثالها: دوام الحال من المحال)

(الهاشمي/ ط2/ 397).

وفيه من مقصود التعليم ما فيه إبرازاً للمعنى ، وإيضاحاً وتفسيراً للصورة ، وفيه وظيفة جمالية واضحة، وتأكيد للمعاني وإثارة اهتمام القارئ وإشعاراً لأهمية الكلام.

ثانياً: السجع:-

(وهو تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد وهو ثلاثة أضرب:

أ- اختلاف الفاصلتين في الوزن تسمى عندها سجعا مطرفا كقوله تعالى:

﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ، وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾ (سورة نوح/ آية 13).

ب- السجع المرصع: وهو اتفاق ألفاظ إحدى القرينتين ، و أكثر ما فيها من الوزن والتقفية ، كقول أبي الفضل الهمذاني :"إن بعد الكدر صفوا وبعد المطر صحوا" .

ت- السجع المتوازي: هو ما اتفقت فيه الفقرتان في الوزن والقافية كقوله تعالى:

﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ، وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴾ (الغاشية/ آية 13-14).

وكثير من الآيات في القرآن على هذا) (القزويني/ 1985/ 42).

وليكون السجع مقبولاً، لا بد أن تكون مفرداته خفيفة على السمع ، متناسقة تخدم المعاني بلا تكلف ، وهذا ما نلحظه في كتاب الله جلياً واضحاً.

فمن جمال جاذب في اللفظ لإيصال المعنى المقصود ، إلى تنبيه وإثارة اهتمام إلى مقاصد القرآن العظيم ، وتأثير بليغ في نفس القارئ والسامع من خلال الأثر الصوتي ، هذه وظائف جمالية بلاغية للسجع في القرآن الكريم.

ثالثاً: الموازنة:-

(أن تكون الفاصلتان متساويتين في الوزن دون التقفية)

(المراغي/ 1980/ 339).

كقوله تعالى: ﴿ وَنَمَارِقُ مَصۡفُوفَةٌ ، وَزَرَابِيُّ مَبۡثُوثَةٌ ﴾(الغاشية/ 15-16).

الإثبات والتدليل والتأكيد غاية واضحة في الموازنة وفيها من التهويل والتهديد المقصود، ومقام التعليم حاضر في آيات جاءت فيها الموازنة.

رابعاً: رد أعجاز الكلام على ما تقدمه:

(هو في النثر أن يجعل أحد اللفظين المكررين أو المتجانسين أو الملحقين بهما في أول الفقرة والآخر في آخرها كقوله تعالى: ﴿ وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُ ﴾

(سورة الأحزاب/ آية 37) (مطلوب/ 237/1975).

وفي رد أعجاز الكلام على صدره ، تأكيد للمعنى المقصود وتفسير وإيضاح وتجلية لهذا المعنى أيضاً وفيه إثارة لانتباه القارئ على ما سبق من آيات ومعان قصد إعادتها لتأكيد ما يريد الله -جل وعلا- من إخبار.

الفصل الرابع

المحسنات المعنوية الواردة في سورة الكهف

- الطباق
- المقابلة
- المبالغة
- الطي والنشر
- الجمع
- الاستطراد
- ائتلاف اللفظ مع المعنى
- الإبداع

- **الطباق:**

كثر الجمع بين كلمات متضادة في القرآن الكريم، مثال: الحي والميت، والدنيا والآخرة، وغيرها من الكلمات ، وفي هذه السورة كان الطباق من أكثر أنواع البديع وجوداً في الآيات، واضحاً جلياً، لا تحتاج إلى عمق تفكير لاستنتاجها ، أو لاستخراجها.

قال الهاشمي عن الطباق (فيكون تقابل المعنيين وتخالفهما مما يزيد الكلام حسناً وطرافة)

(الهاشمي/ط12/ 367)

نأتي الآن على بيانها ، وشرحها بتفصيل.

أولاً: قال تعالى: ﴿ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ، مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ، وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴾ (سورة الكهف/ الآيات 2 ، 3 ، 4).

الطباق في الآية رقم (2) بين (لينذر) و (يبشر).

قال الزمخشري في تفسيره (أنذر متعدٍ إلى مفعولين كقوله – إنا أنذرناكم عذاباً قريباً– فاقتصر على أحدهما وأصله (لينذر) الذين كفروا (بأساً شديداً) وقد اقتصر على أحد مفعولي (لينذر) لأنه ذكر المنذر في الآية التي تلته فذكر المنذر به في حين أنه سبحانه ذكر المبشر والمبشر به للمؤمنين في نفس الآية.

(الزمخشري /2005/ 612)

ولاحظ معي في الآية التهديد وراء كلمة (لينذر) مباشرة ، ولم يفصل بين التبشير للمؤمنين والإنذار للكافرين بفاصل؛ زيادة لهم في العذاب النفسي في الدنيا، وتهديداً لهم.

ثم نلاحظ أن كلمة لينذر موجهة إلى الكافرين ، وهذه غاية من غايات إنزال القرآن إنذاراً وتحذيراً لمن يريد أن يبتعد عن صراط الله .

فالإنذار والتحذير فيه رحمة من الله بخلقه ، فبعض الخلق قد لا تغريه الجنة وما فيها من نعيم؛ لأنه غارق في ملذات الدنيا ، فجاء التخويف والإنذار ؛ ليوقظ قلوبهم إن بقي فيها حياة، لعلهم أن يتعظوا ثم يتوبوا ويعودوا إلى الله –جل جلاله–.

ثم تعال بنا أخرى نطوف مع صاحب الظلال، حين يقول مفسراً الغرض من إنزال القرآن، وهو إنذار الكافرين ، وتبشير المؤمنين:– (ويغلب ظل الإنذار الصارم في التعبير كله، فهو يبدأ به على وجه الإجمال "لينذر بأساً شديداً من لدنه"، ثم يعود إليه على وجه التخصيص: "وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً " وبينهما تبشير للمؤمنين: "الذين يعملون الصالحات" بهذا القيد الذي يجعل للإيمان دليله العملي، الظاهر المستند إلى الواقع الأكيد)

(قطب /372/1971)

فلاحظ كيف أنه سبحانه قد طابق بين الإنذار ثم التبشير، إنذاراً مجملاً مع التبشير المفصَّل، ثم طابق بين التبشير المفصَّل "ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات" ذاكراً ثوابهم، وبين الإنذار المفصَّل ،بهذا العقد الرهيب المخوِّف للكافرين بإجمال،ثم يعود وبتفصيل، بهذا التبشير المؤنس المهدئ لروع المؤمن عند قراءة المقطع الأول من الآيات، تبشيراً مفصَّلاً بدون إجمال.

ثانياً:﴿ وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمۡ فِي فَجۡوَةٖ مِّنۡهُۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِۗ مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ﴾ (سورة الكهف/ آية 17).

في هذه الآية نرى أنه سبحانه قد طابق بين ثلاث كلمات

أولها: (طلعت) و (غربت).

ثانيها: (ذات اليمين) و (ذات الشمال).

ثالثها: (يهدي) و (يضل).

معجزة الله سبحانه لأصحاب الكهف، بينها سبحانه في هذه الآية ، مبيناً مطلع الشمس على الكهف، بميلان دون دخولها إلى الكهف ، وكذلك عند غروبها أبعد منها عند الشروق، وبذلك حفظ الله أجسامهم من البلى.

ومن خلال المطابقة بين شروق الشمس ، وميلها عند باب كهفهم ذات اليمين، وغروبها وانصرافها عند الباب ذات الشمال ، يتضح ما يلي:-

يقول سيد قطب رحمه الله: (وهو مشهد تصويري عجيب، ينقل بالكلمات هيئة الفتية بالكهف، كما يلتقطها شريط متحرك، والشمس تطلع على الكهف فتميل عنه كأنها متعمدة، ولفظ "تزاور" تصور مدلولها وتلقي ظل الإرادة في عملها، والشمس تغرب فتجاوزهم إلى الشمال وهم في فجوة منه)(قطب/ 1971/جزء 13/ 376)

ولولا الطباق في الغروب والشروق ذات اليمين والشمال، لما عُرف تحديد وجه الباب ، وإن كان ذلك لا يضيرنا في شيء ولكن المهم إعجاز الله في دخول الشمس عليهم.

ولكن المشهد في هذه الآية لمّا يكتمل بعد، فلا بد من وضع اللمسات الأخيرة على المشهد، ولتوجيه القلوب التوجيه المناسب:- ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾ وبالنظر إلى الطباق في الآية ، يتضح أن أعظم ما يهدي به الإنسان غيره ، هي هداية الله ورشده وصراطه .

وعند النظر في اللفظتين (يهدي / يضل) نرى هذا التضاد الجاذب بين الهداية والضلال.

قال: (فإذا كان الوصف لله تعالى أدركنا ضرورة اجتماع الضدين لتكتمل الصورة ويسمو المعنى ويعظم السلطان) (لاشين/ 1999/ 25).

لذا رأينا أن اجتماع الضدين في (يهدي / يضل)، قد أعطى الصورة كاملة: أن من ينعم عليه ربه بالهداية ، فلا هداية بعدها، وأن من اختار الضلالة طريقاً، فلن تجد من يدله على الهداية، فمن أراد الهداية طلبها من صاحبها ومالكها- وهو الله -ومن أراد الضلالة، فليعلم أنه هو من اختارها، وعليه أن يتحمل عاقبة هذا القرار فإن من اختار الضلالة، واتبع أولياءها، فلن يهدوه إلى طريق الجنة أبداً، فإن أولياء الضلال ما كانوا ،ولن يكونوا مرشدين للحق.

ثالثاً:﴿ وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞۚ وَنُقَلِّبُهُمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِۚ لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا ﴾

(سورة الكهف/ آية 18).

في هذه الآية الطباق واضح جلي ، بين (أيقاظاً) و (رقود) ، عند قراءتنا للآية ، فإن المعنى المراد إيصاله إلى ذهن السامع يفهم من (وتحسبهم أيقاظاً) ، فباستخدام الفعل (تحسبهم)، يعطيك معنى أنهم على غير الحقيقة التي تراهم عليها، فأنت تظنهم أيقاظاً، ولكن النص القرآني يعطيك الحقيقة مؤكدة (وهم رقود) وإن كان من يراهم يحسب ذلك ؛ لأن عيونهم مفتوحة غير مقفلة.

وكذلك هناك طباق بين (ذات اليمين) و (ذات الشمال) ، فهذا التقلب لجهة اليمين وجهة اليسار ، يعطيك إيحاءً آخر بأنهم أيقاظ لا رقود، فهم يتقلبون في نومهم، حال النائم حقيقة ، وما كان حال الميت أن يتقلب أبداً.

وحكمة ذلك يقولها علماء الطب الحديث : أن الإنسان إذا بقي شهوراً على حالة واحدة مات لما يتكاثف في الجانب الذي يلي الأرض من الأملاح .

فتأمل الحكمة في ذكر حالهم ، إنهم رقود، ولكنك تراهم أيقاظاً، ولولا ذكر حالهم، وذكر تقلبهم، أي هذا الطباق بين الأيقاظ والرقود، وبين التقلب ذات اليمين وذات الشمال، لما فهم الإعجاز في أمرهم.

فأنت عندما تقرأ هذه الآية السابقة، يتبادر إلى ذهنك أن المذكور إنسان حي ، فالله أخبر أنه أنامهم، بل وفهم أيضاً أن عيونهم مفتحة، وأنهم يتقلبون.

وكم في هذا من الإثبات والتدليل على قدرة الله –سبحانه– وهذا ما أعطاه الطباق بين هذه الألفاظ.

رابعا:﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ (سورة الكهف/ آية 28).

الطباق في هذه الآية بين (الغداة) و (العشي).

أمر الله في هذه الآية النبي محمداً –عليه الصلاة والسلام–أن يلازم الصحابة رضوان الله عليهم، عبّر عن ذلك (بالموصول للإيماء إلى تعليل الأمر بملازمتهم ، أي لأنهم أحرياء بذلك لأجل إقبالهم على الله فهم الأجدر بالمقارنة والمصاحبة)

(ابن عاشور/ 1984/ج16/ 305).

فلو عبر القرآن عن ذكرهم لله بقوله "بكل وقت" بدلاً من قوله "بالغداة والعشي" مثلاً، أو "في جميع أوقاتهم" ، لما سمح لعقلك أن يسبح في فترات مباركة من اليوم، ولكنه سبحانه أرشدك إلى أوقات مباركة، (قيل المراد الفجر والعصر)(الزمخشري/ 2005/ 618).

والمراد بالغداة والعشي أيضاً: (والغداة...: اسم الوقت الذي بين الفجر وطلوع الشمس، والعشي: المساء) (ابن عاشور/ 1984/ج16/ 305).

فذكرهم لله في جميع أوقاتهم أهلَهُم لقيادة الأُمم ، وتسييرها على منهاج الله،فالله يبين لنا عن سيدنا داود ﴿ إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ ﴾

(سورة ص/ آية 18).

فالله –سبحانه وتعالى –سخر معه حتى الجبال يسبحن مع تسبيحه، ولاحظ الوقت، بالعشي والإشراق، وهو الوقت الذي أمر الله –سبحانه– نبيه محمداً –عليه الصلاة والسلام– أن يصبر نفسه مع الثلة المؤمنة التي تذكر الله بالغداة والعشي إلى الشروق، وعند الغروب ، فالله سبحانه أراد بهذين اللفظين تخصيص هذين الوقتين المباركين عن غيرهما وهذه هي الوظيفة المرادة للطباق هنا.

خامساً:﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا ﴾ (سورة الكهف/ آية 29).

لاحظ معي الطباق في (فليؤمن) و (فليكفر)، الذي جاء مباشرة بعد تبيان الحق من الله سبحانه ، هذا هو الحق ، لا مجاملة على حساب الدين، إنها العقيدة، من اتبعها وجعل هواه تبعاً لما جاء به الحق ؛ فهو المؤمن، ومن خالف فهو الكافر،(فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)

(إن العقيدة ليست ملكاً لأحد حتى يجامل فيها، إنها ملك لله، والله غني عن العالمين، والعقيدة لا تعتز ولا تنتصر بمن لا يريدونها لذاتها خالصة.... والذي يترفع عن المؤمنين الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه لا يرجى منه خير للإسلام ولا المسلمين)

(قطب/ 1971/ ج13/ 384).

وننظر إلى خطاب الله "فليؤمن" وقوله "فليكفر" كيف ساوى بين الأمرين في الخطاب ، لكنه قدم الإيمان على الكفر؛ لأن الإيمان مأمور به العبد ، ومرغب له بهذا الإيمان.

وكانت الوظيفة البلاغية الواضحةفي هذا الطباق ، هي التهديد والوعيد لمن كفر بالله ، فليس الأمر هنا إن شئت أخذت الإيمان أو إن شئت أخذت الكفر، لكنه تهديد عن ترك الإيمان واختيار الكفر عليه ، بأن يكون الجزاء ناراً تحيط بهم من كل جانب بما فيها من عذاب أليم، وساءت داراً ومستقراً.

سادساً: وهناك طباق متداخل مع المقابلة بين (نعم) و(بئس).وبين (ساءت) و (حسنت).وذلك في الآيتين (29) و (31).

﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ، إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴾ (سورة الكهف/ الآية 29 ، 30).

وسيأتي الكلام عليها في المبحث التالي ؛ أي في مبحث المقابلة.

سابعاً:﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ﴾ (سورة الكهف/ آية 56).

الطباق في هذه الآية بين "مبشرين" و "منذرين" ، وتمعن جيداً لتلاحظ أن التبشير مقدم على الإنذار، وهذه هي وظيفة الأنبياء، أن يبشروا الناس رحمة من ربهم، ومغفرة ، وجنات، ولكن؛ إن لم يستجب القوم، فالإنذار ، والوعيد لهم حتى يرتدعوا.

(... وظيفة الرسل التبليغ بالبشارة والنذارة لا التصدي للمجادلة، لأنها مجادلة لم يقصد منها الاسترشادبل الغاية منها إبطال الحق) (ابن عاشور/ 1984/ج16/ 352).

فكانت وظيفة بلاغية ، تعليمية ، إرشادية ؛ لبيان دور الأنبياء في رسالاتهم.

ثامناً:﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا۟ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴾ (سورة الكهف/ آية 58).

الطباق المعنوي بين "الرحمة" و" العذاب"

الله سبحانه وتعالى موصوف بالرحمة –سبحانه– وعلامة رحمته عدم تعجيل العذاب.

وهنا تظهر أيضاً الوظيفة البلاغية للطباق ، لتأكيد رحمته سبحانه ، وتأكيد دور الأنبياء في التبشير برحمة الله –جلَّ وعلا–.

(ولكن الله يمهلهم رحمة بهم، ويؤخر عنهم الهلاك الذي يستعجلون به)

(قطب/ 1971/ ج13/ 393).

وأنت ترى أنه سبحانه قد بدأ بذكر الرحمة قبل العذاب ،دلالة على أن رحمته سبقت غضبه.

ولا بد من أن يذكر العذاب بعد الرحمة ، في طباق عجيب حتى لا يتكئ الناس على الرحمة ؛ فيذنبون استهانة بقدر الله ، وقدرته على من عصاه ، وأنهم لا بد راجعون إليه ، فمجازيهم على أعمالهم .

تاسعاً:﴿ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَـٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴾ (سورة الكهف/ آية 63).

في هذه الآية الطباق بين "نسيت" و "أذكره".

نسي غلام موسى عليه السلام ذكر الحوت.

و"أن أذكره" كما هو معلوم بدل اشتمال من الهاء في "أنسانيه"، أي أنساني الشيطان أن أذكره لك، فالذكر هنا ذكر اللسان.

ولاحظ أن النسيان هو معجزة ،ودليل لسيدنا موسى –عليه السلام– قال صاحب تفسير الكشاف:(فإن قلت: كيف نسي يوشع ذلك ومثله لا ينسى لكونه أمارة لهما على الطلبة التي تناهضا من أجلها) (الزمخشري/ 625/2005).

فجاء الطباق هنا للتنبيه وإثارة الاهتمام ، إذ كيف ينسى ؛ وهما خرجا لهذا الغرض بالذات؟ وهو أن يريا علامة تدلهما على الخضر –عليه السلام–.

عاشراً:﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطۡلِعَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَطۡلُعُ عَلَىٰ قَوۡمٖ لَّمۡ نَجۡعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتۡرٗا ﴾

(سورة الكهف/ آية 90).

أي أن الطباق في هاتين الآيتين بين " مغرب الشمس" و "مطلع الشمس".

أي ان الطباق بين أقصى الغرب وأقصى الشرق.

بلوغ ذي القرنين إلى أقصى الغرب مختلف فيه ،وقال صاحب الظلال عنه : (والأرجح أنه كان عند مصب أحد الأنهار، حيث تكثر الأعشاب ويتجمع حولها طين لزج هو الحمأ، وتوجد البرك وكأنها عيون الماء... فرأى الشمس تغرب هناك)

(قطب/ 1971/ ج16/ 410).

وكذلك مطلع الشمس في الأفق الشرقي، فالمكان بالتحديد لا يعرف، لكنه مكان مكشوف لأشعة الشمس ،فحين تطلع الشمس على القوم هناك لا ساتر لهم منها.

وعند قراءتنا لقصة ذي القرنين، وبلوغه مغرب الشمس ومن ثم مطلعها، يعطيك هذا التعبير سعة ملك ذي القرنين، وسياحته في الأرض؛ لنشر دعوة الله في أرجاء الكون، دون أن توقفه الحدود، وكأنه بلغ الأرض كلها حتى وصل المطلع والمغرب للشمس.

وهذا التعبير يعطيك دفعة من الحماسة، إن فترت حماستك في تبليغ دعوة الله المباركة، بلغ الدعوة كما بلغها ذو القرنين ، دون أن توقفك الحدود.

فلفظة "المشرق" و "المغرب" تعطيك إيحاءً واضحاً ، أن دين الله سيبلغ المشرق والمغرب ، سيبلغ بإذن الله ما بلغ الليل والنهار ؛كما وعدنا –عليه الصلاة والسلام– ، إذاً ؛ سجل اسمك في سجل الدعاة إلى الله ، بأي مبلغ من العلم كان معك ، ولو آية واحدة تحفظها ، أو حديثا عن نبيك تبلغه .

الحادي عشر:﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَـٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَـٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَـٰذَا ٱلْكِتَـٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ (سورة الكهف/ الآية 49).

ان أمعنا النظر ملياً في هذه الآية، يتضح لنا الطباق بين الكلمتين (صغيرة) و (كبيرة).

ونأتي الآن على تفسير هذه الآية:-

جاء في الظلال عن هذه الآية: (فهذا هو سجل أعمالهم يوضع أمامهم، وهم يتملونه ويراجعونه، فإذا هو شامل دقيق، وهم خائفون من العاقبة، ضيقوا الصدر بهذا الكتاب الذي لا يترك شاردة ولا واردة، ولا تند عنه كبيرة ولا صغيرة) (قطب/ 1971/ ج15/ 391).

هذا الكتاب الذي وضع لكل إنسان في المحشر، كل شيء قد كتب فيه ، كل ما عمله الإنسان، حتى اللفتة، حتى الكلمة، كل ما فعلته في كتابك ، وإن أخفيته عن الناس فإنه لا يخفى على الله ، ولا يخفى على الملائكة الكرام .

وانظر إلى الآية لترى أن الصغيرة تقدمت على الكبيرة، لأن ذلك هو ما أثار التعجب عند المجرمين في قراءتهم لكتابهم، فقد أحصى المحصي كل شيء.

فنرى الطباق في هذه الآية قد جاء لتعظيم أمر السيئة - وإن كانت صغيرة - لذلك قدمت على الكبيرة في كتاب الله فليست المسألة خاصة بالذنب ، إنما المسألة أن تنظر إلى جلال وعظمة من عصيت -جل جلاله سبحانه-.

فأعطى الطباق هنا هيبة ، وخشية من ذلك اليوم الذي ستتطاير فيه الصحف وينظر فيه العباد إلى أعمالهم.

المقابلة

نستطيع القول، إن المقابلة قد تأتي في بعض الأحيان رديفاً للطباق، وفي هذا المبحث، نرى أن بعض الآيات التي وردت في الطباق، قد وردت في مبحث المقابلة أيضاً .

وسوف نأتي على ذكرها بالتفصيل الآن.

أولاً: نرى أن الآية رقم (17) من سورة الكهف جاء فيها الطباق، ووردت فيها المقابلة أيضاً بين صورة وصورة.

قال الله سبحانه: ﴿ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾ (سورة الكهف/ آية 17).

فبين دخول الشمس عليهم عند طلوعها ، ودخولها عليهم ساعة غروبها صورة تقابلية تبين رعاية وحفظ الله لهؤلاء الفتية ، الذين اهتدوا ،وآمنوا بربهم –سبحانه –

هذا المشهد العجيب ، الذي تذكره آيات الله لهؤلاء الفتية، في صورة متقابلة بين الصورة الأولى في كهفهم عند طلوع الشمس ، يوم أن تميل قليلاً عليهم ، وكذلك قليلٌ من أشعتها عند غروبها.

ويوم أن تقرأ هذه الصورة المتقابلة عند الشروق والغروب يتبين لك رعاية الله سبحانه لهم.

فجاءت الصورة البلاغية للمقابلة إبانةً، وتفسيراً في بيان حالهم في الكهف، وتأكيداً لآيات الله المعجزة في حفظ أجسامهم، فمن شاء اهتدى بها ، ومن شاء ضل عنها ،وأعمى بصره كأنه لم ير، ولم يعقل هذه الآيات وهذه المعجزات الدالة على قدرته ، ووحدانيته في علاه –سبحانه– .

ويا لها من كلمات، تنقل مشهد الفتية في كهفهم في صورة تصويرية عجيبة تسمح للعقل أن يتخيل الصورة ماثلة كمشهد حاضر لا يحتاج لكثير تخيل.

قال أبو السعود : (وهم في فجوة منه جملة حالية مبينة لكون ذلك أمراً بديعاً ، أي تراها تميل عنهم يميناً وشمالاً ، ولا تحوم حولهم مع أنهم في متسع من الكهف ، معرض لإصابتها لولا أن صرفنا عنهم يد التقدير)

(أبو السعود/ ج211/5).

فهذه هي حالهم في هذا الكهف ، في متسع منه ؛ لكن العناية الإلهية ترعاهم فالشمس لا تصيبهم مباشرة أبداً ؛كي لا تؤذيهم عند إشراقها ، ولا تصيبهم مباشرة كذلك عند غروبها ، والمتأمل حقيقة في هذه الصورة البديعة للمقابلة، في حال الشمس عليهم في الشروق والغروب، يدرك عظيم رحمة الله وقدرته –جلّ جلاله– مع أنه قادر على حفظهم بلا أسباب؛ لكن بهذه الصورة الفائقة في العناية ، توجيه لأصحاب الدعوات ؛ أن الله حافظ عباده، ولو في جوف كهف، فقط لأنهم دعوا الناس إليه ، ووجهوا –كفتية دعاة – قلوبهم إلى ربهم ليحفظهم فكان الحفظ وكانت الرعاية.

ثانيا:﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا ﴾ (سورة الكهف/ آية 29).

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَيَلۡبَسُونَ ثِيَابًا خُضۡرٗا مِّن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۚ نِعۡمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتۡ مُرۡتَفَقٗا ﴾ (سورة الكهف/ آية 31).

تأمل المقابلة بين "بئس الشراب وساءت مرتفقاً" و "نعم الثواب وحسنت مرتفقاً".

في بداية الآية كما مر سابقاً، بيان للحق، فمن شاء اتبعه ومن شاء أنكره وأعرض عنه، وجزاء لمن أعرض نار جهنم، يشتوون في سرادقها، وإن استغاثوا في النار طالبين الماء من شدة الظمأ ، أُغيثوا ولكن؛ أُغيثوا بماء حار يشوي الوجوه، (يشوي الوجوه بالقرب منها، فكيف بالحلوق والبطون التي تتجرعه "بئس الشراب" الذي يغاث به، الملهوفون من الحريق، ويا لسوء النار وسرادقها مكاناً للارتفاق والاتكاء، وفي ذكر الارتفاق في سرادق النار تهكم مرير، فما هم هناك للارتفاق، إنما هم للاشتواء! ولكنها مقابلة مع ارتفاق الذين آمنوا وعملوا الصالحات هنالك في الجنان، وشتان شتان) (قطب/ 1971/ ج15/ 385).

وما كانت جملة "وساءت مرتفقاً" إلا بياناً ، وذماً لحال هؤلاء في النار يوم أن تشوى وجوههم في النار .

هذا جزاء وصورة لأهل النار، فيها من التهكم وفيها من الوعيد الكثير لأهل الضلال، وعلى الوجه الآخر وفي الجانب الآخر، عكس لهذه الصورة، نعيم لأهل الجنة، ومرتفق لهم في الجنان، فهم في الجنة للنعيم والاتكاء بعكس أهل النار، فأهل الجنة قال عنهم (نعم الثواب وحسنت مرتفقاً) فلكل عبد مقام الاختيار أن يكون من المؤمنين أو الكافرين والجزاء جلي لهؤلاء وهؤلاء.

والوجه البلاغي في المقابلة هنا تهكم واضح ، وتحقير ، واستهزاء ، فهذه نهاية طريق من عصى، واختار طريقاً لا يوصل إلى الراحة في الجنة ، فكانت النهاية ناراً وساءت هذه النار ، وأي استهزاء بهم أعظم ! وأي تهكم أبلغ ! من أن يكون لهم ارتفاق في النار.

والصورة الثانية ، صورة جليلة لأولئك الذين ساروا على درب الطاعة –كفتية الكهف –برغم كل ما قد يحول بينهم وبين عبادة الله ، والتوجه إليه فكان الثواب جنات عدن ؛ نعم الثواب للمؤمنين ،ونعم الراحة والارتفاق فيها.

ثالثا:﴿ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴾

(سورة الكهف/ آية 87).

﴿ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴾

(سورة الكهف/ آية 88).

انظر إلى عقاب من ظلم نفسه بالشرك، وثواب من آمن بالله سبحانه ، أعلن الله أن للمعتدين الظالمين عذاباًفي الدنيا ، ومن ثم فإنهم بعد ذلك يردون إلى ربهم فيعذبهم عذاباً فظيعاً "نكراً"، لا نظير ولا شبيه له فيما عهدوه ، وعرفه البشر في دنياهم ، أما المؤمنون الصالحون فلهم جزاءٌ حسنٌ ومعاملة طيبة، والتكريم والمعونة والتيسير في الدنيا والآخرة.

فهذه مقابلة بديعة، جزاء في الدنيا ، وخزي وعذاب في الآخرة لمن ظلم، وتيسير وتبشير وحبور لمن آمن واتبع صراط الله.

ودلت هذه الآية على صفات للحاكم المسلم، صفات لذي القرنين (....إن القوة لم تخرجه إلى البطر، بل كانت قوته في خدمة دين الله ودعوته، كما دلّ على كمال رحمته ، وشفقته برعيته المؤمنة... ويعامل أعداء الله بما يستحقون)(حوى / 1985/ ج6/ 3225).

صورة واضحة لا لبس فيها ، بين من ظلم نفسه بالمعصية ، وبين من آمن ، فبدأت الآية بمن ظلم؛ للتهديد والوعيد لأولئك، ولِبَثْ الطمأنينة في نفوس المؤمنين الذين ظُلموا أن الحاكم المسلم وظيفته أخذ الحق للمظلوم ممن ظلمه .

ما أجملها من صورة تقابلية، بين من ظلم ومن آمن، فكانت الأولى فيعذبه عذاباً "نكراً"، والثانية "سنقول له من أمرنا يسراً".

وشتان بين صورة وصورة، بين عذاب لا مثيل له للظالمين، وبين رحمةٍ، وقل يسر وتبشير من الله للمؤمنين.

فالطرفان سيرجعان إلى الله، سيردان إلى الله، لكن مردّ كل فريق مختلف، ونهايتهما مغايرة.

المبالغة

أولاً:﴿ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا زَلَقًا ﴾ (سورة الكهف/ آية 40).

ابتدأت هذه الآية بفعل الرجاء (عسى)؛ وهو – أي الرجل المؤمن– طلب من الله أن يرزقه خيراً من جنة صاحبه، داعياً على صاحبه ، أن يرسل الله على جنته حسباناً ، (والحسبان:... هلاكاً ، حسباناً: أي مقدراً من الله، ...وقيل: الحسبان اسم جمع لسهام قصار يرمى بها في طلق واحد وليس له مفرد، وقيل: اسم جمع حُسبانة وهي الصاعقة، وقيل: اسم للجراد، والمعاني الأربعة صالحة هنا).

(ابن عاشور/1984/ج16/ 305).

والمبالغة هنا في لفظة (زلقاً)، فهي مصدر وصفت به الأرض والوصف بالمصدر فيه مبالغة.

(فالصعيد وجه الأرض والتراب... والمرتفع من الأرض)

(مجمع اللغة العربية/ 1972/ 514).

فكانت لفظة صعيد كافية أن توصل الصورة ، عندما دعا ذلك العبد على أرض الذي كفر بنعمة ربه عليه ولم يشكرها..

نعم كانت ستوصل اللقطة كاملة ، لكن المبالغة في الصورة في لفظة (زلقاً) ، زادت المعنى فكانت أبلغ معنى ، وأوضح صورة لتلك الأرض الزلقة ، التي لا يستقر عليها شيء بل يزلق عنها. جاء في تفسير أبي السعود ("فتصبح صعيداً زلقاً" مصدر أريد به المفعول مبالغة أي أرضاً ملساء يزلق عليها لاستئصال ما عليها من البناء والشجر والنبات)

(أبو السعود/ ج5/ 223).

ثانيا:﴿ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴾ (سورة الكهف/ آية 41).

لم يكتف هذا المؤمن بالدعاء السابق لكف غرور صاحبه، بل لقد دعا أيضاً بدعاء واستخدم مرة أخرى المصدر في الدعاء ، فاستخدم كلمة (غوراً) ، وهي مصدر أُطلق على اسم الفاعل وفيه مبالغة.

ومعنى دعائه : أن ينزل الماء في الأرض، وزاد عليه (فلن تستطيع له طلباً).

وهذاهو المؤمن تنتفض عزة الإيمان في نفسه ، فلا تبالي وجود المال أو عدمه، ولا تداري غنياً، ولا تتلعثم في قول كلمة الحق، ولا تجامل فيه أحداً ، وهكذا يستشعر المؤمن أنه عزيز أمام الجاه والمال، وأن ما عند الله خير من أعراض الحياة.

وهذا هو جزاء كل من استخدم ماله أو جاهه لغير ما أراد الله.

قال أبو السعود ("ماؤها غوراً" أي غائراً في الأرض أطلق عليه المصدر مبالغة).

(أبو السعود/ ج5/ 223).

فكانت المبالغة هنا أيضاً زيادة في إظهار المعنى ، فالماء سيصبح غوراً بقدرة الله، ولن تستطيع أن تناله بأية وسيلة أو آلة ، مهما طلبته ، وهذا بيان وإفصاح بأن الذي أتى بالماء، هو

الله، والقادر على إنزاله من السماء ، هو الله ، والقادر على إخراجه من الأرض بعد أن صارت مستودعاً له، هو الله ، والقادر على أن يغوّر الماء في الأرض هو الله.

والقادر على أن لا يُقدر أحداً أن يطال الماء بأية وسيلة ، هو الله ، فمن أراد الماء إما بإنزاله من السماء ، أو إخراجه من الأرض ، عليه أن يتوجه إلى الله، فما أجملها من صورة بلاغية أوصلها هذه العبد المؤمن بدعائه هذا ، يوم أكد المعنى ، وأعاد إلى أذهان من انصرفت قلوبهم إلى غير القادر –جل وعلا–في الطلب أو العون، أن يعودوا في لجوئهم ، وطلبهم من ربهم ، ومن ربهم فقط .

الطي والنشر

نلاحظ في قصة سيدنا موسى –عليه السلام– مع الخضر ، الترتيب في الطي والنشر ، فهو يذكر أصحاب السفينة ، ثم الغلام ، ثم أصحاب القرية، ثم يعود مرة أخرى عند النشر بنفس الترتيب ، فيذكر سبب خرق السفينة، ثم سبب قتل الغلام، ومن ثم سبب بناء الجدار.

ومع المشهد الأول من القصة:–

﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقۡتَهَا لِتُغۡرِقَ أَهۡلَهَا لَقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـًٔا إِمۡرًا ﴾ (سورة الكهف/ آية 71).

سفينة تقلهما في البحر، ولكن المشهد غريب مستهجن عند سيدنا موسى –عليه السلام– خرق للسفينة من قبل الخضر ، ولماذا ، وهي التي تحملهما مع أهلها؟ أتريد إغراقنا أيها الخضر؟ بهذا السؤال خالف موسى –عليه السلام– الشرط في اصطحابه، ولكن؛ الجواب عند الخضر، قال:

﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾

ثم يأتي البيان من الخضر –عليه السلام –بعد حادثتين ليخبره بتفسير هذا الأمر.

ثم يتابعان طريقهما...

"حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ"

(وإذا كانت الأولى خرق سفينة واحتمال غرق من فيها، فهذه قتل نفس، قتل عمد لا مجرد احتمال، وهي فظيعة كبيرة لم يستطع موسى أن يصبر عليها على الرغم من تذكره لوعده) (قطب/ج398/15).

نعم ، لقد قتل الخضر هذا الغلام ، وهذا واضح جلي أمام موسى –عليه السلام– شاهده عياناً ، وكذلك فتاه الذي معه.

"قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا "

إن المشهد منكر عظيم ، في نظر كل ذي فطرة سليمة ، ولا يمكن لأحد أن يصبر عليه ، إنه القتل ؛ بل قتل نفس بغير نفس ؛ بل قتل طفل صغير بلا ذنب ، وهذا ما دفع موسى –عليه السلام –إلى الإعتراض على ما رآه ، ولم يستطع أن يصبر عليه.

ثم يستمر المشهد:

﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ قَالَ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرًا ﴾

(سورة الكهف/ آية "77").

("أهل القرية" هي أنطاكية، وقيل الأبلة وهي أبعد أرض الله من السماء)

(الزمخشري/ 2005/ 626).

وقرية الأبلة : (تقع على شاطئ دجلة البصرة العظمى في زاوية الخليج ...

في نهاية الرأس الجنوبي لنهري دجلة والفرات الصالحين للملاحة) (الحموي/1995/ج97/1)

دخل موسى عليه السلام مع الخضر هذه القرية وهما جائعان، فلم يطعمهما أهل هذه القرية، ولكن الغريب والمستهجن ، أن الخضر قد أقام حائطاً كان يريد أن يقع، ولا يهمنا كيف أقام الخضر السور فهي ليست مطلوبنا أو عبرتنا، فهو أقامه ولم يأخذ عليه أجراً.

وهنا ينتفض سيدنا موسى –عليه السلام – لقد دخلنا هذه القرية جائعين، لم يطعمونا، وأنت تصلح لهم جداراً وبدون أجر! وفي هذه اللحظة يأتي الفراق بينه وبين الخضر؛ والآن يقوم الخضر بالشرح لسيدنا موسى –عليه السلام– حادثة بعد حادثة بترتيب، ويأخذ السر الخفي في التجلي...

﴿ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبٗا ﴾ (سورة الكهف/ آية 79).

يوضح الخضر أنه لولا العيب الذي افتعله في السفينة ، لكانت في يد ذلك الملك الظالم ، رغماً عنهم ، فهذا الضرر الصغير لاتقاء شر كبير أخبره عنه الله.

﴿ وَأَمَّا ٱلْغُلَـٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا ، فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾ (سورة الكهف/81،80).

والعلم أيضاً في هذ الحالة من الله سبحانه أوحاه إلى الخضر، فالغلام بعلم الله سيكون ضالاً لا مهتدياً ، فاسقاً عاصياً لا طائعاً، وخوفاً على الأبوين في دينهما من هذا الغلام إذا كبر، وحتى يرزقهما الله غلاماً خيراً من هذا الغلام.

﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَـٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَـٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾(سورة الكهف/ آية82)

أما هذا الجدار ، فان الله قد ألهم الخضر أن يقيمه لهذين اليتيمين ؛ جزاءً لصلاح أبيهما، فإن هذا الأب قد خاف على أبنائه من بعده ، فادخر لهما هذا الكنز تحت الجدار؛ ليحفظه من أيدي الناس كي لاينزع من يدي اليتيمين ، وفي ذلك رحمة ولطف من الله بهما، وكرامة لأبيهما، فلو سقط الجدار؛ لظهر الكنز؛ ولما استطاع الغلامان أن يحفظا كنزهما عن أيدي الناس؛ لصغر سنهما.

(وفي دهشة السر المكشوف ، والستر المرفوع ، يختفي الرجل من السياق كما بدأ لقد مضى في المجهول كما خرج من المجهول، فالقصة تمثل الحكمة الكبرى، وهذه الحكمة لا تكشف عن نفسها إلا بمقدار، ثم تبقى مغيبة في علم الله وراء الاستار)

(قطب/ 1971/ ج15/ 400).

وهكذا تمضي القصة، في ترتيب بين أحداثها وأسرارها، وفي ترتيب بين كشف هذه الأسرار والأحداث، دون تداخل حدث على حدث.

فنلحظ هنا ، أن الخضر يوم أن تصرف في سفينة المساكين بإذن وعلم من الله لمصلحتهم .

وأما قتله للغلام فبعلم سابق من الله أعلمه للخضر ، وليس تشريعاً يجري على باقي الخلق.

والجدار أخيراً كان جزاءً من الله، وثواباً على عمل أبيهما، أن حفظ لهما كنزهما ليقيم الخضر الجدار استكمالاً لحفظ الله ورعايته.

وهكذا يتضح أن الغاية من الطي والنشر في قصة موسى مع الخضر –عليهما السلام– للتنبيه، وإثارة الاهتمام لدى القارئ؛ ليرى حل هذه الألغاز والأمور العجيبة التي قام بها الخضر.

ثم كان مقام التعليم ، الذي من أجله التحق موسى بالخضر ، فالحوادث الثلاث التي لم يصبر عليها موسى –عليه السلام– جاء الآن مقام تعليم ، وإفصاح ، وبيان من الخضر لها بالترتيب ، كما وصلت ، وكما أنكرها موسى –عليه السلام–.

وكان التوضيح والتفسير ، هدفاً بلاغياً واضحاً جلياً في بيان الأمور المستعظمة التي قام بها الخضر، واستعظمها موسى –عليه السلام–.

الجمع

في الآية التالية، وعند قراءتك لها، تدرك أن الله سبحانه قد جمع بين (المال) و(البنون) في حكم واحد، وهو أنهما زينة الحياة الدنيا، فقال سبحانه: ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾

(سورة الكهف/ الآية 46).

فالمال والبنون زينة للحياة التي يحياها بنو آدم، والإسلام لا ينهى عن التمتع بهذه الزينة في حدود الطيبات التي أحلها الله ، ولكنه يعطيهما القيمة التي تستحقها هذه الزينة .

إنهما زينة، ولكنهما ليسا قيمة، فلا يجوز أن يوزن بهما الناس، ولا أن يقدروا على أساسهما في الحياة، إنما القيمة الحقة للباقيات الصالحات من الأعمال، والأقوال، والعبادات.

عند قراءة الآية مرة أخرى وتأملها ، يتضح هنا ظاهراً جلياً ، الحكمة من الجمع بين (المال) و(البنون) في حكم واحد؛ وهي أنهما –أي (المال والبنون)– ليسا بميزان ومقياس تقاس بمقتضاهما الناس، وتحكم العلاقات بين الأفراد.

فها هم الصحابة –رضوان الله عليهم– كان أحدهم يقتل في معركة وثوبه لا يكاد يغطيه ، وغيره كثير من قصص الصحابة الذين تظهر قصصهم عدم احتفالهم بمظاهر الحياة، بل ها هو قدوتنا وقدوتهم محمد –عليه الصلاة والسلام– لا يوقد في بيته نار ثلاثة أهلة، بل ويضع –عليه الصلاة و السلام– حجرين على بطنه من الجوع، وهو خير خلق الله أجمعين.

فالمال والبنون زينة، والزينة لا بد أن تفنى في يوم من الأيام ، إذاً تمسك أيها المؤمن بما سيخبرك الله به من الزينة التي لا تفنى بل تبقى في الدنيا زينة.

والزينة كما هو معلوم تكون معلقة في السقف ، أو على الجدران، بمعنى أنها في مكان مرتفع، لذلك فإن رأيت أن صاحب المال ، وذا العيال رافعاً رأسه بين الناس عالياً، فصاحب (الباقيات الصالحات) مرفوعٌ قدره في الدنيا ، وهو في الآخرة في الفردوس الأعلى؛ إن أخلص العمل استحق المنزلة.

والزينة كما هو معروف عند أهل صناعة الزينة في البيوت ، لا يجب أن تكون كثيرة وإلا أفسدت المنظر الذي يريد صاحبه أن يجمله، وكذلك زينة الدنيا ؛ لا يجب أن تزيد عن حدها ومقدارها، و إلا ألهت العبد عن الإلتفات للباقيات الصالحات.

إذاً "الباقيات الصالحات" (أعمال الخير التي تبقى ثمرتها للإنسان وتفنى عنه كل ما تطمح إليه نفسه من حظوظ الدنيا، وقيل هي الصلوات الخمس، وقيل سبحان الله والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر)

(الزمحشري/621/2005)

ونقرأ الآية لنرى كيف قدم سبحانه الوصف "الباقيات" على "الصالحات" لأنهما صفتان لموصوف محذوف، مع أن الذي يدل على هذا الموصوف هي لفظة "الصالحات".

ولكنه سبحانه قدم لفظة "الباقيات" بعد "المال والبنون" لينبه سبحانه على أن ما ذكر قبله ليس بباق أي "المال والبنون" من هذا نفهم أن الله في هذه الآية قد أشركهما –"المال والبنون"– في حكم جديد وهو أنهما ليسا بباقين.

ولكن يستثنى من ذلك إن استخدم ماله في صدقة جارية، أو كان أبناؤه من الصالحين، فيدعون له بعد موته، فتكون "المال والبنون" عندها من الباقيات الصالحات.

وجمع بين "المال والبنون"، لأن السعادة تكتمل بوجود الاثنين معاً ، فلا سعادة لمن كان ذا مال ،ولم يكن له عيال ، ولا سعادة لمن أُعطي البنين، وضاقت عليه أمواله في الدنيا بلا مال.

فالجمع بأن يكون العبد ذا مال ابتداءً ، يستطيع معه أن ينفق على عيال ، وهو خير وزيادة بركة، وفضل ؛ لإعانة العبد وراحته، وتفريغ جزء من وقته للتربية الصالحة لأولاده.

و"المال والبنون" رزق من الله –جل في علاه– يعطيه من شاء ، وكيف شاء ، ومتى شاء، فالعطاء منه ، والمنع منه.

فمن افتخر بالمال دون البنين نقص افتخاره ومن افتخر بالبنين دون أن يكون ذا مال يحسن به تربيتهم نقص افتخاره أيضاً.

فناسب مقام الجمع بين (المال والبنون) وقصد سبحانه تخصيصهما دون غيرهما، ليكونا زينة للحياة الدنيا ، ونعم الزينة للعبد الصالح ، الذي يعرف قيمتهما ، ويؤدي شكرهما ، لا كذلك الرجل صاحب الجنة ؛ الذي كفر بنعمة الله ، ولم يؤد شكرها ، وقد ورد تفصيل قصته وحاله في آيات السورة .

ثانيا:﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢۚ بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلاً ﴾

(سورة الكهف/ آية 50).

بعد أن انتهت الآيات السابقة بالتذكير بالباقيات الصالحات ناسب أن تأتي آيات فيها مشاهد من يوم القيامة.

ثم يذكر الله في هذه الآية بما كان من إبليس عند بدء خلق آدم –عليه السلام– فأمر الله الملائكة بالسجود ؛ فسجدوا، إلا إبليس فسق عن هذا الأمر ،ورفض السجود لآدم الذي خلقه الله بيديه، فكان العجب !كيف يتخذ أبناء آدم هذا الشيطان وذريته أولياء من دون الله، وهم قد علموا عداوة الشيطان وذريته لأبيهم؟ وأن الشيطان سيكون سبباً لدخول كثير من ذرية آدم إلى النار.

فجمع سبحانه هنا بين الملائكة وإبليس في هذه الآية ، لكن الله أوضح ، أن إبليس ليس من الملائكة، إنه من الجن.

وأوضح سبحانه أن إبليس من الجن وليس من الملائكة؛ لصيانة الملائكة أن يقع الناس في عصمتهم.

وجاء الجمع أيضاً، للتوضيح والبيان منه سبحانه، حول هذه الحادثة التي حصلت في بداية خلق آدم ورفض الشيطان أمر الله في السجود .

أضف إلى ذلك أن هذا الجمع قد جاء لتعليم بني آدم أن لا يتخذوا الشيطان، أو ذريته أولياء من دون الله ، فهو عدو لهم ، ولأبيهم ، فبئس البدل الذي يتخذه الظالمون والمشركون من دون الله سبحانه .

الاستطراد

منذ قراءة السورة في آياتها الأولى نلحظ أن السورة جاءت لتصحيح مسار العقيدة، وجاءت السورة مجلية موضحة لهذه العقيدة التي لوثها المشركون – مشركو مكة–.

ومن الكلمات الأولى في السورة ، تبين أن الله سبحانه مرسل نبيه محمد –صلى الله عليه وسلم– ومنزل عليه القرآن العظيم.

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴾

(سورة الكهف/ آية "1").

فالحمد لله وحده؛ لا لغيره، فهو أنزل الكتاب على عبده محمد ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، لهدايتهم، ولبيان طريق النجاة، وطريق عبادة الله وحده؛ فاستحق الله سبحانه الحمد، على نعمه، فالحمد لله وحده لا لغيره، مفتتحاً بها هذه السورة كافتتاح الخطبة بالحمد، لبيان الأمر المهم.

وفي ختام السورة ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾

(سورة الكهف/ آية 110).

وهكذا نرى آيات البدء والختام تعلن الوحدانية وتنكر الشرك وتثبت الوحي، وتميز تمييزاً مطلقاً بين الذات الإلهية وذوات الحوادث، وتلمس آيات السورة هذا الموضوع مرات كثيرة، وفي صورة شتى.

وآيات جاءت توضح نتائج للبعد عن هذا الصراط المستقيم، فصاحب الجنة، ابتعد عن صراط الله، وشط عن الطريق، وقبله آيات تحدثت عن إبليس.

وعلى عكسها، صورة لأشخاص التزموا منهج الله، فكان جزاؤهم أن خلد الله ذكرهم في القرآن، بل وأيدهم بمعجزات لأنهم التزموا هذا الخط الذي عينه الله في بداية السورة، وفي ختامها. فها هم الفتية في الكهف، وها هو المؤمن صاحب الجنة، وها هو ذو القرنين، وقبله موسى عليه السلام وفتاه مع الخضر.

كلها آيات في السورة، جاءت مبينة لهذه الحقيقة التي لا بد منها، أنه من اتبع صراط الله الذي لا عوج فيه وصل إلى مراده إلى الجنة، ومن اتبع غير هذا الطريق فلن توصله إلا إلى النار.

ثم بالاستطراد تمر الآيات بذكر الأمر الذي استطردت إليه ، مروراً كالبرق الخاطف، ثم تتركه وتعود كأن لم تقصده، وإنما عرض عروضاً ؛والأمر الذي نعنيه هنا هو إثبات الوحدانية لله سبحانه وما الأحداث الواردة في الآيات من قصص وتنبيهات وغيرها إلا لإثبات هذه الوحدانية لله وحده.

والاستطراد له صلة وثيقة في معرفة مناسبات الآيات ، وهو أن تنظر في الغرض الذي سيقت له السورة، وما يلزم ذلك من مقدمات تتدرج في قربها من الموضوع حتى تدخل فيه ، وما يلزم تلك المقدمات من متممات ، ومعانٍ تستشرف نفس السامع والقارئ إليها ، بحيث يكون إيرادها شفاء لما في نفسه من ذلك الاستشراف، لأن ذلك آكد في التأثير على السامع والقارئ، وأخذاً لطيفاً لعقله ووجدانه،وهذه جوانب من بلاغة الاستطراد التي وردت هنا في سورة الكهف.

ائتلاف اللفظ مع المعنى

نعلم يقيناً أن القرآن كله معجز، وأن ألفاظ القرآن كلها بلا استثناء متناسبة مع المعنى المراد إيصاله إلى ذهن السامع، فلو أردنا أن نطبق هذا المبحث من البديع، على هذه السورة، لما استطعنا له حصراً، ولكن حسبنا من ذلك أن نختار لفظة، جميلة في معناها، جميلة في مبناها، لفظة قال الله –سبحانه– في معناها في صفة كريمة لنبيه محمد –صلى الله عليه وسلم– :–

﴿ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ ﴾ (سورة آل عمران / آية 159).

عند قراءتنا لسورة الكهف نجد أن كلمة (وليتلطف) في الآية (19) من سورة الكهف، قال ابن عاشور عنها في تفسيره: (قيل التاء من كلمة "وليتلطف" هي نصف حروف القرآن عداً). (ابن عاشور/ 1984/ ج16/ 285).

من هذا نعرف أن كلمة ((ليتلطف)) هي نصف كلمات القرآن عداً أيضاً ويكون حرف التاء نصف أحرف القرآن عداً، وكما ذكر علماء التجويد أن من صفات حرف التاء الهمس، ولك أن تلاحظ العلاقة بين الهمس وكلمة "وليتلطف" لما فيهما من تجانس في المعنى الذي يثبت أن هذا القرآن من عند حكيم خبير.

وسنعود لهذه اللفظة في العرض التفسيري للآية.

وفي عرض قصة فتية الكهف نرى المشهد، والفتية يستيقظون وهم لا يعرفون كم لبثوا منذ أن أدركهم النعاس، إنهم يفركون أعينهم، ويلتفتون إلى بعضهم فيسأل بعضهم بعضاً : كم لبثتم؟ " قالوا : لبثنا يوماً أو بعض يوم".

ثم رأوا أن يتركوا مسألة لبثهم في الكهف ، التي لا طائل وراء البحث فيها، ويدعوا أمرها لله وأن يأخذوا في شأن عملي، فهم جائعون، ومعهم نقود خرجوا بها من المدينة ، فليذهب أحدهم إلى مدينتهم فليختر أطيب طعام في المدينة فليأتهم بشيء منه .

ولكن ليحذر، وليتلطف، وليبالغ في الحذر، وإياه من الخشونة في التعامل حتى لا ينكشف أمرهم.

هذه اللفظة (وليتلطف)، ناسبت موقعها تماماً، جاءت بالمعنى الذي أراد فتية الكهف أن يوصلوه لمن أراد أن يذهب للشراء، حتى لا ينكشف أمرهم عند الملك وأتباعه فيقتلوهم رجماً، لأنهم خارجين عن دين الملك،أو يفتنوا عن دينهم بالتعذيب.

من هنا نشهد الحوار بين الفتية والتناجي بصوت منخفض حتى لا يسمع صوتهم؛ خائفين وهم لا يدرون (أن المتسلطين الذين يخشونهم على عقيدتهم قد دالت دولتهم، وأن قصة الفتية الذي فروا بدينهم في عهد الملك الظالم، قد تناقلها الخلف عن السلف، وأن الأقاويل حولهم متعارضة، حول عقيدتهم، وحول الفترة التي مضت على اختفائهم).

(قطب/ 1971/ ج15/ 377).

(وليتلطف) لفظة جميلة، تصلح أن تكون دستوراً للتعامل بين البشر، وإلا لما أكدها القرآن؛ بجعلها في وسط القرآن الكريم عدّاً، فليتلطف كل منا مع الآخر، في الكلام، في المعاشرة، في كل أمور حياته ليكن متآلفاً متحاباً. وعندها نذكر قوله تعالى: ﴿....وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا...﴾

(سورة آل عمران/ آية 103).

انظر إليها الآن في سورة الكهف ﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُواْ بَيْنَهُمْۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْۖ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍۚ قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓاْ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴾ (سورة الكهف/ آية 19).

وما أجملها من لفظة مُؤتلفة مع المعنى العام الذي جاء به القرآن الكريم ، تلطفٌ بعباد الله سبحانه ورحمةٌ بهم، وما إرسال الأنبياء وإنزال الكتب إلا للتلطف بهؤلاء العباد الذين خلقهم سبحانه للجنة لا للنار.لذلك كانت الغاية البلاغية المراد إيصالها من هذه اللفظة قد وصلت بمجرد قراءتها (وليتلطف) ، واترك لعقلك مزيداً من التحليل حول هذه اللفظة.

ونلاحظ أن سورة الكهف جاءت في ترتيبها في نصف كتاب الله أيضاً، لتكون كلمة في وسطها هي وسط القرآن، وحرف التاء متوسط لأحرف القرآن أيضاً.

وهذا جانب من جوانب إعجاز القرآن العظيم العجيب في نظمه البديع في وزنه ورصفه ، المخالف لجميع أوزان العرب ونظم كلامهم.

الإبداع

عند دراسة فنون البديع وتقسيماته ، عرفنا نوعاً من أنواعه ، ألا وهو (الإبداع) وعند العودة إلى الكتب المعرفة لهذا النوع ، وجدنا أنه قد عرِّف أن يكون الكلام مشتملاً على نوعين أو أكثر من البديع .

وعند البحث في الآيات وجدت أن الإبداع قد استخدم في الآيات التالية:

أولاً: الآية ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾(سورة الكهف/ آية 29)

والآية ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ (سورة الكهف/ آية 31)

نرى أن الله قد ذكر في هاتين الآيتين نوعين من أنواع البديع هما:-

أ- الطباق بين (فليؤمن) وبين (فليكفر).

ب- المقابلة البديعية بين جزاء من كفر، وثواب من آمن؛ وقد مر سابقاً، الكلام على هاتين الآيتين في مبحث الطباق ومبحث المقابلة.

ثانياً : الآية: ﴿ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴾ (سورة الكهف/ آية87)

والآية: ﴿ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴾ (سورة الكهف/ آية 88).

وقد ورد فيهما نوعان من البديع هما:-

أ- طباق معنوي بين (من ظلم) وبين (من آمن).

ب- المقابلة البديعية بين جزاء من ظلم نفسه بالشرك، وجزاء من آمن وقد مر الكلام سابقاً عليهما في مبحث الطباق ومبحث المقابلة أيضاً.

ثالثاً : الآية ﴿ وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ﴾ (سورة الكهف/ آية 49).

والإبداع ملاحظ فيها وواضح.

فهذا الطباق بين (صغيرة) و (كبيرة) وهذا السجع في تتابع الآيات، وسبق الكلام عنها في مبحث الطباق، وفي مبحث السجع الذي سيأتي الحديث عنها.

فعوض عن المقابلة بالسجع الذي يعطي خاتمة الكلام انسياباً وجمالاً للألفاظ.

الفصل الخامس

المحسِّنات اللفظية الواردة في سورة الكهف

- تمهيد.
- الجناس.
- رد أعجاز الكلام على ما تقدمه.
- الموازنة.
- السجع.

تمهيد:

إذا كان علم البديع هو: (علم يُعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية مطابقة الكلام لمقتضى الحال ورعاية وضوح الدلالة.) (الجرجاني /1998/ 110).

فكثير من وجوه تحسين الكلام ترجع إلى العناية باللفظ لذلك ، جاءت التسمية بالمحسنات اللفظية.

فلا يمكن في حال من الأحوال أن يكون المقصود من اللفظ تزييناً ، أو زخرفاً من القول ، وبخاصة في القرآن الكريم، وحاشاه –سبحانه وتعالى– أن يكون هذا هو المقصود من كلامه في كتابه ، أو يكون الاستخدام لأوجه بديعية مجرد حشو كلام

أو زينة؛ بل المقصود دائماً من اللفظ بشكل عام؛ أن يدفع القارئ لمزيد من الفهم للمعنى. فنرى أن آيات القرآن العظيم جاءت بصيغ بديعية، جمالية بكلام أخاذ ليقود القارئ أو السامع إلى الإيمان بأن هذا الكلام يستحيل أن يكون إلا من عند خالق مبدع بديع سبحانه، ولا يمكن لبشر بحال من الأحوال أن يأتي ببعضه أو مثله.

فجاءت آيات القرآن عامة، والمكية بشكل خاص، مشبعة بأنواع علم البديع لإبراز المقصود؛ وهو إظهار الإعجاز البياني البلاغي لآيات القرآن العظيم في تلك الفترة مع أولئك المعاندين والمكذبين؛ بل المستكبرين عن الإيمان والتصديق.

فكان هذا الفصل بياناً واضحاً لآيات قرآنية من سورة الكهف، يظهر فيه جلياً تلك المحسنات اللفظية ، مع علمنا أن سورة الكهف سورة مكية بآياتها.

الجناس

الجناس : حلية لفظية من ألوان علم البديع ، مقصدها أن تجعل القارئ أو السامع يميل إلى السماع ؛ بل التلذذ بنغمة الجناس على الأذن ، فيتأثر فيما سمع أو قرأ.

ففي الجناس جمال بديعي موسيقي يطرب الأذن أيما طرب.

فالجناس الذي يقبل ؛ هو الجناس الذي يطلبه المعنى ويستدعيه ، وإذا جاء الجناس في القرآن، فلا بد أنه سيؤدي وظيفة مطلوبة مقصودة ، فقد يقرأ الانسان لفظاً ثم يُعاد عليه ليكون له معنى جديداً مستحدثاً يلفت إليه القرآن ؛ لتأخذ السامع أو القارئ الدهشة عندها من مفاجأة غير متوقعة.

يقول عبد القاهر الجرجاني: (أتراك استحسنت تجنيس القائل "حتى نجا من خوفه وما نجا" وقول المحدّث:

ناظراه فيما جنى ناظراه أو دعاني بما أمت أو دعاني

لأنه قد أعاد عليك اللفظة كأنه يخدعك عن الفائدة وقد أعطاها ويوهمك كأنه لم يزدك وقد أحسن الزيادة ووفاها) (الجرجاني /1948/ 4-5).

وننتقل الآن إلى الآيات القرآنية في سورة الكهف والتي ورد فيها التجنيس.

أولاً: قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا مِن دُونِهِ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴾ (سورة الكهف آية 14).

عند قراءة هذه الآية يتضح لنا الجناس ، وهو غير تام في (قاموا) و (قالوا) فالله سبحانه وتعالى ربط على قلوبهم، وثبتهم، وقوّاهم، حتى قاموا بين يدي الملك، ولكنهم لم يأبهوا لملكهم،

وقوته، وجبروته، فالله سبحانه قد ربط على قلوبهم، ولولا ربطه سبحانه، لما استطاعوا أن يقفوا بين يدي ملكهم، قائلين له: "ربنا رب السماوات والأرض".

هذا القيام بلا خوف، دليل على رباطة الجأش، وهذا القول زيادة وتأكيد على ثبات إيمانهم.

ونلاحظ هنا ؛ أن الفائدة التي حصلت من خلال اللفظتين (قاموا/ قالوا) هي التأكيد.

ثم نلحظ ؛ أن هناك إثارة اهتمام وانتباه للقارئ ، أو للسامع ؛ ماذا بعد قيامهم من نومهم؟ أي فعل أو حدث جرى لهم بعد قيامهم من نومهم؟

فيأتي الجواب: بعد حادثة النوم العجيبة وقفوا أمام الملك ثابتين على دينهم ومبدئهم يدعون لدين الله بلا خوف أو وجل.

ثانياً: قال سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ، ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ (سورة الكهف/ 103-104).

انظر إلى الجناس بين "يحسبون" و "يحسنون"، وهو جناس غير تام، استمع إلى ابن عاشور عندما يقول: (وافتتاح الجملة بالأمر بالقول؛ للاهتمام بالمقول بإصغاء السامعين لأن مثل هذا الافتتاح يشعر بأنه في غرض مهم) (ابن عاشور/ 1984/ ج45/16).

من هم هؤلاء الأخسر أعمالاً في الحياة الدنيا وفي الآخرة ؟

إنهم الذين عندما ينكشف لهم الغطاء، يعرفون أنهم كانوا يحسبون أعمالهم تنجيهم من الهلاك فهم عبدوا الأصنام قربة إلى الله، هم قد ظنوا أنهم يحسنون إلى أنفسهم بهذه العبادة وبهذا العمل، ولكن ضل سعيهم في الحياة الدنيا لأن هذا العمل لم يؤد بهم إلى الهدى، وإلى الإسلام، بل

قد أبقاهم على الضلال والكفر بالله، فالشيطان يمدلهمويمنيهم أن عملهم هذا صائب، لا ضلال فيه، وان تأملت كلمة "يحسبون"، عرفت أن هذا هو الضلال والخيبة والخذلان لا غيره.

بعد هذا الشرح ، نلحظ إذا كما قال ابن عاشور ؛ أن مثل هذا الجناس يُراد به الإشعار بأهمية الكلام ، ومن ثم وضح وفسّر سبحانه من هم هؤلاء الأخسرون أعمالاً.

نلحظ أيضاً ، تحقيراً ، واستهزاءً بهؤلاء الذين عملوا ، وتعبوا في عملهم ، وعبادتهم لكن بلا جدوى ، وبلا فائدة.

ثالثاً: قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴾ (سورة الكهف/ الآية 57).

فالجناس هنا بين (مَنْ) الإستفهامية ومن الموصولة (منَ) التي أدغمت في (مِنْ) فصارتا كلمة واحدة.

والسؤال هنا جاء للتهكم ، والاستهزاء بأولئك الذين جاءتهم آيات الله –سبحانه وتعالى– لكنهم أعرضوا عنها.

قال سيد قطب: (فهؤلاء الذين يستهزؤون بأيات الله ونذره لا يرجى منهم أن يفقهوا هذا القرآن. ولا أن ينتفعوا به.... لذلك جعل الله على قلوبهم أغطية تحول دون فقهه وجعل في آذانهم كالصمم فلا يستمعون إليه وقدر عليهم الضلال بسبب استهزاؤهم وإعراضهم فلن يهتدوا إذا أبداً، فللهدى قلوب متفتحة مستعدة للتلقي).

(قطب/ 1971/ج 15/ 393).

فأي ظلم أعظم من أن يظلم الانسان نفسه ، ويعرضها لسخط الله وعقابه برغم ما جاءه من الآيات والنذر ؟

آيات متلوة مسطورة ، وآيات كونية شاهدة على وجوده وعقابه ، وسرعة غضبه على من عصاه .

فالسؤال هنا لا ينتظر منه جواب ؛ فالجواب واضح لكنه تهكم ، وتحذير لأولئك الذين ظلموا أنفسهم ، أن يتداركوها قبل أن يحل بهم العذاب ، وفيه تخصيص العذاب لأولئك الذين رفضوا أن ينظروا إلى آيات الله وسرعة انتقامه وأليم عقابه.

وهذا ما أعطاه الجناس في هذه الآية ، بين (مَنْ) اسم الاستفهام ، وبين (مَنْ) الاسم الموصول.

وما زالت آيات الله سبحانه في هذه السورة تترى ، تحذر ، وتنذر ، وتذكر العباد الذين حادوا عن صراط ربهم ، وتنكبوا له ؛ حتى يعودوا .

فأي رحمة بعد هذه الرحمة من هذا الرب سبحانه ، الذي لا يرضى لعباده الكفر ولا يحب لهم العذاب.

ولكنهم هم الذين يريدون أن يوردوا أنفسهم موارد الهلاك – أجارنا الله من الهلاك وعذاب النار –.

رابعاً: قال تعالى: ﴿ قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ﴾ (سورة الكهف/ آية 109).

جاء في سبب نزول هذه الآية : (قالت اليهود: كيف وقد أوتينا التوارة وفيها كل شيء؟ فنزلت هذه الآية). (ابن الجوزي/ 1983/ ج5/ 201).

والآية معناها ، لو كان البحر مداداً يكتب به كلام الله سبحانه ؛ لنفدت مياه البحار قبل أن تنتهي كلمات الله سبحانه، وذكر البحر هنا لأنه أوسع ما يعرفه الإنسان ، ولأن العرب كانت تكتب بالمداد من أنواع كانت تصنعها ، فهي تعرفه.

ويضرب الله مثلاً لسعة كلامه وعلمه ، بمداد البحر الذي لن ينفد ، ولن ينتهي وهي صورة محسوسة ملموسة عقلها الناس وعرفوها.

ولو انتهى البحر لمدّه بحر آخر وزاده.

ف (مدد) الثانية هنا معناه : زيادة وإعانة للبحر الذي ينتهي ، فيزيده ، ويعينه بحر آخر.

فالاولى بمعنى الحبر الذي تمد به الدواة ، و (مدد) بمعنى الزيادة .

واللفظان متحدان في الجذر اللغوي لكل منهما ، إلا أنهما يختلفان من ناحية الدلالة التي وردت فيهما.

فعند قراءتنا في الأولى (مداداً) والثانية (مدداً) تحققت قفزة تعبيرية في الأداء ؛ فجاء الجناس ليحقق وحدة موسيقية ، ورجعة في النغمة الصوتية ، وهذا حصل بفضل تشابه الحروف بين اللفظتين.

وليمنح النص عمقاً دلالياً عن طريق اختلاف المعنى في كل منهما.

وهناك علاقة قائمة بين حركة الامتداد لماء البحر ، وكتابة كلمات الله من غير توقف ، فلا تنتهي هذه الكلمات إلا بنهاية ماء البحر ونفاده ، ولا يمكن أن ينتهي ماء البحر ، ولا يمكن أن تنتهي كلمات الله.

في حين جاءت لفظة (مدداً) الدالة على الزيادة، غير أنها زيادة ضئيلة جداً أمام علم الله سبحانه ، وقدرته ، وكلماته.

ولو تأملنا كلمة (مداد) التي اتصل معناها مع البحر ، لرأيناها أطول من كلمة (مدد) الدال على الزيادة ، والإعانة لماء البحر الذي يوشك أن ينفد ، ولكن هذا المدد ضئيل إزاء كلمات الله ، بل ضئيل جداً فجاء الزمن في لفظ (مدد) أقل منه في لفظ (مداد) ، فهذه الزيادة في المداد متناهية يمكن جدلاً أن تنتهي أما علم الله سبحانه ، أما كلماته فهي غير متناهية ، لن تنتهي أبداً ؛ لأنها صفة من صفاته -جل وعلا-.

وهذه هي الوظيفة البلاغية التي أحدثها الجناس بين لفظتي (مداداً) و(مدداً).

رد أعجاز الكلام على ما تقدمه

قال الله تعالى:﴿ إِذۡ أَوَى ٱلۡفِتۡيَةُ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةً وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدًا ﴾ (سورة الكهف، آية 10).

وقد ردّ سبحانه عجز الكلام في هذه الآية (إِذۡ أَوَى ٱلۡفِتۡيَةُ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ) ، على صدر الكلام في الآية التي قبلها (أَمۡ حَسِبۡتَ أَنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡكَهۡفِ وَٱلرَّقِيمِ).

(إذ ظرف مضاف إلى الجملة بعده، وهو متعلق بـ (كانوا) فتكون هذه الجملة متصلة بالتي قبلها) (ابن عاشور/ 1984/ ج265/15).

فعند قراءتنا للآية التي قبل هذه الآية ، والآيتين اللتين بعدها ؛ ندرك أن هذه الآيات ؛ إجمال لقصة أصحاب الكهف ، وهذا تلخيص مجمل لقصتهم ؛ فهم فتية لا يعلم أحد عددهم ،

لجؤوا إلى الكهف ، وهم مؤمنون بوعد ربهم ، ونصره لهم، ونصره لدينه ؛ فأنامهم الله عدداً من السنين ، ثم بعثهم سبحانه من رقدتهم ؛ لتكون هذه القصة في غرابتها ، وعجائب أحداثها ؛ عجيبة من عجائب الله في كونه ، وفي هذا الكون من العجائب ، والإبداع ، والغرابة ما يفوق قصة أصحاب الكهف ؛ لو تأمل الناس بقلوبهم ، وعقولهم.

فهؤلاء الفتية عند فرارهم إلى الكهف ، ابتهلوا إليه سبحانه مباشرة أن يؤتيهم من لدنه رحمة، وأن يهيء لهم رشداً.

("من لدنك" أي من عندك "رحمة" أي : رزقاً "وهيء لنا" أي: أصلح لنا "من أمرنا رشداً" أي:أرشدنا إلى ما يقربنا منك... والرشد والرشاد نقيض الضلال).

(ابن الجوزي/1983/ 109).

ومن خلال رد عجز الكلام على صدره ، يتضح أن ذلك تأكيد على دور الخلوة بالنفس بين حين وآخر، لما لذلك من أثر في تزكية هذه النفس، ومعالجة أمراضها، ومعرفة عيوبها، والأهم من ذلك، أنه عند هذا الوقت ، وهذه الخلوة، تصفو النفس، فتستحق عندها التأييد ، والرشد ، والرحمة من الله، فالهداية كل الهداية، والتأييد كل التأييد من الله لهذا الإنسان، الذي اختلى بنفسه لله ، ولله وحده لا لغيره.

ونلحظ أيضاً أن هناك زيادةً وتفصيلاً في الآية (10) للمعنى المجمل في الآية (9) وهذه هي الوظيفة البلاغية العجيبة لرد أعجاز الكلام على صدره في هذه الآيات السابقة الذكر.

الموازنة

أولا: قال الله تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَـٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ، إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلاً ﴾

(سورة الكهف/ الآية 6،7).

فنلاحظ أن هناك موازنة بين (أسفاً / عملاً) ؛ فنجد أن نهايات الفواصل القرآنية هنا متساوية وزناً دون التقفية.

ونرى أيضاً ، أن ألفاظ الفاصلتين متساويتين أيضاً ، وهذا أفضل أنواع الموازنة.

وهذا رأي محمد بن علي الجرجاني يوم قال: (وإن تساوت الفاصلتان في الوزن سميت موازنة) (الجرجاني/ 1981/ 374).

فلعلك يا محمد –صلى الله عليه وسلم– مهلك نفسك غماً على هؤلاء الذين لم يؤمنوا بالقرأن الكريم ، وأنت متأسف عليهم، وعلى حالهم، فالله سبحانه قد جعل ما على هذه الأرض من زينة ، وزخارف ابتلاءً من الله سبحانه ، واختباراً ؛ كيف يتعامل الناس مع هذه النعم ، ليكون الجزاء يوم القيامة.

والظاهر من الآيات أنها تسلية للنبي –صلى الله عليه وسلم– على إعراض المشركين بأن الله أمهلهم عمراً ، وأعطاهم الدنيا ؛ لعلهم يشكرونه، لكنهم بطروا النعمة وكفروا بها.

وقد جاء نظم هذا الكلام على أسلوب الإعجاز في جمع معان كثيرة بألفاظ تظهر الأغراض المقصودة ، فإن الإخبار عن خلق ما على الأرض زينة يجمع الامتنان على الناس والتذكير ببديع صنع الله.

ففي هذه الموازنة اثبات وتدليل وتأكيد على أن الله سبحانه خلق الناس وهو يعلم سبحانه أعمالهم ، ومؤمنهم ، وكافرهم، وفيها تسلية للنبي –صلى الله عليه وسلم –أن لا يأسف على هؤلاء فهذا اختبارهم ، واختيارهم هم للهدى أو للضلال.

ثانيا: قال تعالى: ﴿ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴾

(سورة الكهف آية 43).

وقال تعالى: ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾ (سورة الكهف آية 45).

الموازنة بين اللفظتين (منتصراً / مقتدراً) موازنة بين معنى كل من الآيتين ، يوم أن ندم صاحب الجنة على فعلته في التكبر على الله ، ورؤية نفسه أنه منعم متفضل على نفسه ، وأن لا أحد له فضل عليه حتى ربه سبحانه ، فكان الجزاء أن الله أتلف له ماله كله؛ بأن أرسل على الجنة، والزرع حسباناً من السماء ، فهلكت أرضه وأنعامه ، وسلبت أمواله.

قال ابن عاشور : (وفي قوله "ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله" موعظة وتنبيه على جزاء قوله "وأعز نفرا" والفئة الجماعة، وجملة "ينصرونه" صفة، أي لم تكن له فئة هذه صفتها، فإن فئته لم تغن عنه من عذاب الله، وقوله "وما كان منتصراً " أي ولا يكون له انتصار وتخلص من العذاب) (ابن عاشور/ 1984/ ج15/ 327).

وبالنظر إلى الآية "45" من السورة ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾ (سورة الكهف آية 45).

نرى أن سبب إهلاك صاحب الجنة ؛ هو إعراضه عن الله ، واقباله على الدنيا ، وأن أعظم حائل ومانع للمشركين وبين الإسلام ؛ إقبالهم على الدنيا وزينتها.

هذه الدنيا التي شبهها خالقها بغيث نزل على زرع ، فاخضر الزرع ، ثم ما لبث أن اصفر لونه ، فصار هشيما تطايره الرياح .

وكلمة المقتدر : هو القوي عظيم القدرة على الفعل ، وهو قادر على كل فعل، فهناك في الآية السابقة لم يكن صاحب الجنة منتصراً ، ولم يجد نصيراً ، وهنا أن الله سبحانه مقتدر على كل شيء ، ولن يعجزه أن يكون نصيراً لمن اتقى ، وأطاع، وشكر المنعم سبحانه.

فالموازنة حصلت بين معنى الآيتين ، في مشاهد خاطفة سريعة تخطف الألباب عن نهاية صاحب الجنة ، ومشاهد سريعة خاطفة عن الدنيا التي شبهت بالماء ينزل على الأرض ،ثم زرع ، ثم يصفر ويكون هشيماً.

فهناك النهاية (وما كان منتصراً) وهنا (وكان الله على كل شيء مقتدراً).

والموازنة التي حصلت بين (منتصراً / ومقتدراً) كذلك فيها تهويل وتهديد لمن سار على نفس درب أولئك.

ثالثا: قال تعالى: ﴿ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدًا ، قَالَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرًا ، وَكَيۡفَ تَصۡبِرُ عَلَىٰ مَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ خُبۡرًا ﴾

(سورة الكهف / الآيات 66-68).

قال الزمخشري: (رشداً: علماً ذا رشد أرشد به في ديني) (الزمخشري/2005/ 625).

فموسى يطلب علما يعينه على أمر دينه ، وليس مجرد معرفة لا تفيده ، ولا تقربه إلى الآخرة؛ فلا خير في علم لا يفيد إلا الجدل ، أو المماراة مع الآخرين.

قال ابن عاشور: (الخُبر: بضم الخاء وسكون الباء: العلم وهو منصوب على أنه تمييز لنسبة الإحاطة في قوله: (ما لم تحط به) أي إحاطة من حيث العلم) .

(ابن عاشور/ 1984/ ج15/ 372).

هنا يؤكد الخضر أن هذا العلم يا موسى ليس من نوع العلم الذي عهدته ؛ بل هو علم من لدن الله سبحانه ، من الممكن أنك لن تحيط به ، أو أنك لن تصبر عليه.

بأدب عال يليق بنبي ، يطلب موسى من الخضر أن يتبعه ، وأن يتعلم منه هذا العلم الذي علمه إياه الله.

نلاحظ الموازنة ههنا بين اللفظتين (رشداً / خبراً).

فرشدا: علماً نافعاً يريد موسى عليه السلام أن يتعلمه.

وخُبرا: هو العلم الذي لم يحط به أحد إلا الخضر.

فكانت الموازنة بين مراد موسى من العلم ؛ أن يرشد به ويتعلم به ، لأجل دينه وكان الرد من الخضر، أن العلم الذي عنده علمه إياه ربه جل وعلا ، وقد يفتن به موسى –عليه السلام – لأنه لم يحط خبراً بهذا العلم.

وقد جاءت وظيفة هاتين اللفظتين للتوضيح وللتفسير فما الذي يريده موسى من العلم ؟ وما هو العلم العجيب الذي عند الخضر؟

ونستنبط أيضاً أن جاءت الموازنة في مقام ووظيفة العلم والتعلم.

رابعاً: قال تعالى: ﴿ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴾

(سورة الكهف / الآية 73).

قال تعالى: ﴿ فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا ﴾ (سورة الكهف / الآية 74).

الموازنة جاءت بين لفظتي (عسراً / نكراً).

قال صاحب الكشاف : (عسراً: من أمري وهو اتباعه إياه ، يعني: ولا تعسر عليّ متابعتك ويسّرها عليّ بالإغضاء وترك المناقشة). (الزمخشري/ 2005/ 626).

فكأن موسى –عليه السلام–يطلب هنا أن لا يكون العلم الذي سيعلمه إياه الخضر فوق طاقة عقله البشري ، فلتكن المعلومات سهلة يسيرة ، وإن سألت ما لا أعلمه ؛ فتحمله مني؛ هذا لسان حال موسى عليه السلام.

وقال : (نكراً: وقرئ بضمتين وهو المنكر وقيل: النكر أقل من الأمر لأن قتل نفس واحدة أهون من اغراق أهل السفينة وقيل معناه :جئت شيئاً أنكر من الأول: لأن ذلك كان خرقاً يمكن تداركه بالسد وهذا لا سبيل إلى تداركه)

(الزمخشري/2005/ 626).

فموسى– عليه السلام– إذاً هذه المرة ليس ناسياً ، ولا غافلاً لكنه يقصد السؤال ويتعمده ، فلا يمكن أن يسكت الآن عن قتل هذه النفس ، ولا يمكن تدارك أو إصلاح ذلك ، فهو يقصد أن ينكر هذا النكر الذي رآه في نظره.

فالموازنة بين (عسراً / نكراً)

فالعسر: الشدة وهي ضد اليسر، والنكر أمر عظيم تنكره العقول، ولا تسكت عليه، فاللفظتان تدلان على شدة في الأمر لكن الثانية أشد، وهي مقصودة بذاتها لم يعتذر عنها موسى –عليه السلام – كما اعتذر عن الأولى، وفي هذا لفتة جاذبة للقارئ، وفيها من التهويل ما فيها؛ لاستعظام الفعل الأول والثاني الذي فعله الخضر –عليه السلام–.

السجع

السجع يعطي الكلام رونقاً ، ويزيده بهاءاً وجمالاً، من دون تكلف، ومن الملاحظ في آيات القرآن اختلاف القوافي، وذلك حتى لا يمل السامع من قافية واحدة، فنلاحظ اختلاف القوافي بين ثلاث آيات أو أكثر أو أقل، ومن الأمثلة على السجع، وهي متعددة في هذه السورة .

أولاً: في مشهد من مشاهد يوم القيامة، تسيير الجبال، ثم حشر العباد، ثم عرض على الله، بعدها يبدأ توزيع الكتب ليقرأ كل واحد عمله؛ في الآيات ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَـٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ، وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ، وَوُضِعَ ٱلْكِتَـٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَـٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَـٰذَا ٱلْكِتَـٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾.

(سورة الكهف/ الآيات 47–49).

(إنه مشهد تشترك فيه الطبيعة ، ويرتسم الهول فيه على صفحاتها وعلى صفحات القلوب، مشهد تتحرك فيه الجبال الراسخة فتسير، فكيف بالقلوب، وتتبدى فيه الأرض عارية، وتبرز فيه صفحتها

مكشوفة لا نجاد فيها ولا هواد...، وكذلك تتكشف خبايا القلوب فلا تخفى خافية) (قطب/ 1971/ ج 15/ 390).

انظر إلى لفظة (أحداً) تعطيك إيحاءً بأن الله سبحانه لم يترك من الجن والإنس أحداً، بل ومن الحيوان أيضاً، فهناك في هذا اليوم الذي جمع فيه الخلق جميعاً فالكل موقوف أمام الله للقصاص.

ولاكتمال الصورة والمشهد في هذه الآيات –لأن الموقف بمشاهده متسلسل– فلا بد أن تكون اللفظة التي تنهي المقطع مناسبة للفظة المقطع الأول، فيأتي السجع وتكون كلمة (موعداً). موقف العرض الذي أنكره الكثير، بل نسيه أكثر الناس، هذا الموعد وهذا اليوم كما خلقت أول مرة، خالياً عن كل شيء من الدنيا، بل حتى عن لباسك الذي سترك في الدنيا، فلا شيء يسترك عن الخالق، فكل شيء سيظهر الآن.

وقد جيء بالحشر هنا قبل أن يسير الخلق إلى الله ؛ ليشاهدوا هذه الأهوال العظيمة وليكون ما وعد به الأنبياء هنا حقاً وصدقاً ، فإن الأنبياء أخبروا أقوامهم وأنذروهم لقاء هذه الأهوال والأحداث العظام ، ثم بعدها سيكون البروز والوقوف بين يدي الله سبحانه للعرض والحساب.

ويأتي بعدها مشهد لتوزيع الكتب، انظر بعين بصيرتك، ترى أرض المحشر وترى الناس عراة وقوفاً، وترى الكتب متطايرة، وحتى يختم المشهد كما بدأ، لم يغادر الله أحداً، ولم يظلم أحداً.

بسجع مناسب لبداية المشهد، الكل موجود على أرض المحشر، والكل لن يظلم اليوم أمام الملك –سبحانه – ملك السماوات والأرض.

من هنا نرى أن السجع جاء لوظيفة أساسية ؛ وهو أن يخدم المعنى ، ويؤثر في النفس تأثيراً بليغاً، فالأثر الصوتي يؤثر في نفس المتلقي أيما تأثير.

(والسجع القصير يدل على قوة المنشئ وتمكنه في الصناعة، ثم هو أجمل صورة وأحلى موقعاًلقرب توارد الفاصلتين على السمع).

(لاشين/ 1999/ 131).

ثانياً: السجع في الآيتين (107 / 108).

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّـٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلاً، خَـٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلاً ﴾ (سورة الكهف/ 107 – 108).

منزل أهل الجنة الذي سماه الله نزلاً ، منزل لا يمكن أن يفكروا ، أو يخطر لهم على بال أن يتحولوا عنه إلى غيره ، فالبديل هنا عن الجنة هي النار؛ التي هي نزل ومستقر للعاصين والمستكبرين على أمر الله.

والسجع الوارد في اللفظتين (نزلاً / وحولاً) ، يعطي النفس راحةً وطمأنينة من طبيعة سكن الجنة الدائم ، الذي لا يتحول عنه أهله إلى غيره أبداً فكان هذا الجرس في هاتين اللفظتين ؛ معطياً زيادة في الاطمئنان إلى سكناهم وخلودهم في الجنة أبداً.

قال ابن الجوزي في تفسيره زاد المسير : (فإن قيل: قد عُلم أن الجنة كثيرة الخير فما وجه مدحها بأنهم لا يبغون عنها حولاً ؟

فالجواب: أن الانسان قد يجد في الدار الأنيقة معنى لا يوافقه، فيحب أن ينتقل إلى دار أخرى، وقد يمل، والجنة على خلاف ذلك) (ابن الجوزي/ 1983/ 110).

فهؤلاء المتقون الذين يعملون الصالحات ، لهم ضمان من ربهم يوم دخولهم إلى دار جزائهم، وقصورهم ، وجنانهم ؛ بأن لهم النعيم بلا حد ، ولا عد ، بلا ملل في هذه الدار التي

سيخلدون فيها ، ولن يتحولوا عنها ؛ لأن نعيمها متجدد كل لحظة فضلاً ، ونعمة ، ومنة من ربهم سبحانه.

ثالثاً: السجع في الآيتين (26 / 27).

قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ، وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴾ (سورة الكهف/ آية 26 ،27).

في الآية رقم (26) كانت نهاية قصة أصحاب الكهف ، والاختلاف في مدة مكثهم في كهفهم التي اختلف في مدتها المفسرون، لكن ما عليه جمهور المفسرين أن المدة ثلاثمائة وتسع سنين، والله سبحانه وحده يعلم الغيب في السماوات والأرض وحتى مدة مكثهم التي اختلف فيها المفسرون وحاروا.

وتعود الآية في خطابها إلى المشركين الذين تركوا هذا الرب ؛ الذي يعلم الغيب في السماوات والأرض ، واتخذوا أولياء وأرباباً من دون الله يعبدونها.

فالله سبحانه لا يشرك في ملكه أو حكمه أحداً ، فهو المتفرد –جل جلاله– بالملك والحكم في ملكه، فكلمة (أحداً) عائدة على الآلهة التي جعلوها نداً وشريكاً لله.

قال ابن الجوزي : (قوله تعالى: "أبصر به وأسمع" فيه قولان:

أحدهما: أنه على معنى التعجب، فالمعنى: ما أسمع الله و أبصر، أي هو عالم بقصة أصحاب الكهف وغيرهم...

والثاني: أنه في معنى الأمر، فالمعنى: أبصر بدين الله وأسمع، أي بصّر بهدى الله وسمّع).

(ابن الجوزي/ 1983/ ج5/ 131).

ثم يأتي الأمر من الله في الآية الثانية للنبي –عليه الصلاة والسلام– أن يستمر في تلاوته لكتاب الله ، وإسماعهم إياه ، ولو كرهوا ذلك.

فآيات الله لا تتغير ، ولا تتبدل على حسب أهوائهم ومُرادهم، فالقرآن ما جاء إلا لإبطال شركهم وضلالهم.

وفي هذا توجيه للنبي –عليه الصلاة والسلام– أن يفر إلى الله –سبحانه– كما فرّ فتية الكهف ، ولجؤوا إليه سبحانه ، فلن تجد من دون الله حمى ، ولن تجد من دون الله ملجأ تؤوي إليه أبداً.

قال ابن عاشور: (فلذلك كان الملتحد بمعنى الملجأ. والمعنى: لن تجد شيئاً ينجيك من عقابه. والمقصود من هذا تأييسهم مما طمعوا فيه)

(ابن عاشور/1984/ ج15/ 304).

فالسجع الذي جاء بين لفظتي (أحداً / ملتحداً)

جاءت لفظة (أحداً) في نهاية الآية في معرض أن الله لا يشرك أحدا في ملكه ، فلا صنم، ولا إله ، ولا رب مما يعبد هؤلاء مهما كان هذا الأحد.

(مُلتحدا) جاءت في معرض القول أنك لن تجد من دون الله ملجأ ، ومهرباً تؤوي إليه ، فهناك لا أحد غير الله مالك في الملك ، وهنا لا أحد غير الله ملتحداً ، وحمى يؤوي إليه أولياؤه.

لذلك كانت الغاية من السجع هنا ؛ تأكيداً على وحدانيته ، وقدرته على حماية أوليائه ، وتهديد ، ووعيد لأولئك الذين يفكرون أن يبدلوا ، أو يحرفوا ، أو يشتروا بآيات الله سبحانه شيئاً.

رابعاً:

السجع في الآيتين (33 / 34).

قال تعالى: ﴿ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا،

وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾

(سورة الكهف/ الآيتان 33 ، 34).

وابتدأ مشهد جديد ، وقصة جديدة قصة صاحب الجنة.

فالآيات هنا تعطينا صورة واضحة جلية عن تلك الجنتين ، إنهما بجوار بعضهما وبينهما نهر شقه الله –سبحانه– فضلاً ، ومنة منه ؛ ليسقي صاحب الجنتين زرعه فالجنتان تؤتيان ثمارهما في موعدهما كما يريد ويشاء الله ، ولم تنقص ثمارهما ، فكان بينهما حوار ما ، أخبرنا الله سبحانه عن سببه ، ولم يخبرنا عن بدايته ، ولا مكانه، لكنه –سبحانه– نقل لنا ما يناسب المقام ، وما يهمنا من هذا الحوار.

فأحدهما له جنتان ،بل زاد في الآية الثانية أن له مالاً أكثر ، ونفراً من أهله أكثر من صاحبه.

قال الزمخشري: ("وأعز نفراً " يعني: أنصاراً وحشداً وقيل: أولاداً ذكوراً لأنهم ينفرون معه دون الاناث) (الزمخشري/ 2005/ 620).

فكان السجع بين (نهراً / نفراً) وهي تمام نعمة ، ومنة من الله –سبحانه– عليه فالنهر تمام لمنة الله عليه بجنته ، فلا خير في جنة بلا ماء ينبت زرعها ، ولا خير في رجل له نعمة من

مال ، وزرع ، وغيرها من نعم الله ، ثم لا يكون له نفراً ينفرون معه ، ويحمون له ماله من الطامعين.

فجاء السجع بين (نهراً / نفراً) ؛ليذكر العباد بهذه النعم التي ينعم بها الله على عباده، كل هذه النعم إن لم يكن لها شكر من العبد لربه ، فلن تغني عنه شيئاً ؛

بل تكون وبالاً ، وحسرة عليه يوم القيامة ، فلن يغني عنه ماله ، ولن يغني عنه نفره من الله شيئاً ؛ إن أراد الله إهلاكه .

وقد كان منه أن كفر بنعمة الله عليه ، وكان من الله –جل في علاه– أن غيّر هذه النعم عليه يوم كفر ، فلم يغن النهر ، ولا النفر عن إرداة الله شيئاً.

وهذا ما سيذكر الله به بعد تمام القصة ، وإنتهاء فصولها بقوله: ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَـٰقِيَـٰتُ ٱلصَّـٰلِحَـٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾

(سورة الكهف/ آية 46).

فجاء السجع بين الكلمتين (نهراً / نفراً) توضيحاً ، وتفسراً من الله –سبحانه– على النعم التي أنعم بها على عباده ، وتأكيداً ، وذكراً لأدلةٍ على نعمه –جل جلاله– على عباده ولو أنهم كفروا به ، فإن النعم تزيد ، ويبارك فيها إن شكروها وأدوا حق المنعم فيها .

خامساً: السجع في الآيتين (54 / 55).

قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلاً، وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلاً ﴾(سورة الكهف الآيتان 54، 55).

قال الزمخشري (وانتصاب جدلاً على التمييز يعني : أن جدل الإنسان أكثر من جدل كل شيء) (الزمحشري/2005/ 623).

قال ابن الجوزي: (سنة الأولين أفادت عذاباً مبهماً يمكن أن يتراخى وقته، وتختلف أنواعه وإتيان العذاب قُبُلاً أفاد القتل يوم بدر... عياناً قتلاً بالسيف يوم بدر).

(ابن الجوزي/ 1983/ 158).

نلحظ في الآيتين بعد أن بين الله –سبحانه– في كثير من الآيات عن أصحاب الكهف ،وعن ثواب من اتبع أوامر ربه ، وجزاء من عصى وابتعد ، ثم قصة صاحب الجنتين مع صاحبه ، وذكرنا –سبحانه– بالباقيات الصالحات ، وقصة بداية الخلق، و أمر الملائكة بالسجود ، وامتثالهم لأمر ربهم ، وعصيان إبليس لهذا الأمر.

بعد كل هذه الآيات والدلائل ، فإن الإنسان أكثر خلق الله جدلاً، وأن المانع لهؤلاء الكفار الذين جادلوا نبينا محمد –عليه الصلاة والسلام– بعد أن جاءهم القرآن بما فيه من آيات،وعبر ، وقصص ، وتنبيهات؛ هو الكبر في اتباع الحق .

لكنهم بدلاً من أن يؤمنوا ، ويتبعوا ، ويستغفروا بعدما ذكّرهم الله وتوعدهم بعاقبة من قبلهم من الأقوام والأمم ، وأجابهم عما سألوا عن فتية الكهف الذين آمنوا فنصرهم الله على من عاداهم ؛ إذا هم كفروا ، وصدوا عن دين الله.

فجاء السجع بين (جدلاً / قبلاً) ليبين لهم أن جدلهم هذا ، وكفرهم بآيات الله؛ سيكون سبباً في اقتراب العذاب منهم ؛ إن هم أصروا على ما هم فيه من الكفر، وقد كان عقابهم قريبا ؛ فأهلكهم الله كما توعدهم ، فقتل في بدر رؤوس الكفر الذين كفروا ، وصدوا عن دين الله .

فجاءت وظيفة السجع هنا للتهديد ، والوعيد ؛ إن عقلوا ، وانتبهوا لهذا التهديد ليقودهم الخوف من العاقبة إلى التفكير في قدرة هذا الخالق ، الذي قدر على من قبلهم ، وسيقدر عليهم إن استمروا في غيّهم.

الخاتمة

بعد هذا التطواف في سورة الكهف من الناحية البلاغية، وبالتحديد من ناحية علم البديع، وبعد أن تجولنا معاً في مشاهد ماتعة في السورة وبعد دراسة آياتها، بانت لي نواحٍ جمالية إعجازية في هذه السورة فبرزت من خلال الشرح والتفصيل.

ومن ثم فقد خلصت الدراسة إلى جملة من النتائج والتوصيات ،أجملها فما يأتي:

أولا: النتائج:

1- أن السجع هو أكثر أنواع البديع وروداً في الآيات يليه الطباق.

2- السجع الوارد في الآيات يمكن تقسيمه إلى مجموعات:

أ- المجموعة الأولى من الآية (19-24) وتكررت فيها فاصلة حرف الدال مع ألف الإطلاق.

ب- المجموعة الثانية من الآية (60-63) وتكررت فيها فاصلة الباء مع ألف الإطلاق.

ت- المجموعة الثالثة من الآية (67-83) وتكررت فيها فاصلة الراء مع ألف الإطلاق.

- ففي المجموعة الأولى ذكر للحظة قيامهم من نومهم والأحداث التي جرت ومن ثم موتهم واختلاف الناس فيهم وما سيبنون عليهم وكم عددهم وختام المقطع بإعلان مشيئة الله في كل أمر.
- وفي المجموعة الثانية: بداية لرحلة موسى مع فتاه للقاء الخضر والعلامة على لقائه وينتهي المقطع ببداية الآية التي تعلن بداية لقاء موسى مع الخضر.
- وفي المجموعة الثالثة: بداية لقصة موسى مع الخضر والأمور العظام التي رآها من الخضر ثم تأويلها من الخضر وينتهي المقطع ببداية لقصة ذي القرنين وأموره العجيبة الأخرى التي وردت في آيات سورة الكهف.

3- مع كثرة ورود السجع في سورة الكهف فإن فيه تمكيناً للمعنى وصفاءً للألفاظ.

ولأن السجع ورد كثيراً في كلام العرب بلا تكلف نجده هنا في آيات السورة ورد بلا تكلف وكان السجع مختلفاً في كثير من الآيات لئلا يمل السامع أو القارئ لذلك ورد السجع في آيات السورة لما فيه من الجمال الذي يعلو على كلام البشر وليس على شاكلته بل هو أكثر بلاغة وفصاحة وكيف أن السجع ارتبط ارتباطاً وثيقاً بالمعنى المراد إيصاله إلى القارئ، فجاء السجع هنا يجماله وإشراقه وحسن نظمه وانسجام موسيقاه ليكون أبلغ في التأثير.

4- نجد أن السجع في آيات السورة قد انتهى بحرف وألف المد.

الألف للإطلاق لما في الإطلاق من راحة نفسية للقارئ عند ختمها، فلو حذفنا ألف الإطلاق من الفاصلة القرآنية (مثلاً) لكان ذلك خللاً بيناً في جرس الآيات وإيقاعها وتأثيرها في النفوس ولكان هناك هجنة في السجع تنكره الأذن ولا تستسيغه لذلك فإن جرس آيات القرآن وبلاغته هي من استرعى انتباه العرب وأسماعهم، لذا نرى أن هذا الجرس والنغم مع علو مغزى الآيات والمعنى وإحكام التعبير في الألفاظ دقة لا يمكن أن يصل إليها أحد.

وكل هذا المقصود منه إبهار العرب وإعجازهم أن يأتوا بمثله ونحن نرى أن الأمر من الله سبحانه بترتيل القرآن "ورتل القرآن ترتيلاً" فالله أمر نبيه عليه السلام بترتيل القرآن لا قراءته مجرد قراءة بل ترتيلاً منغماً تنغيماً يظهر تناسق الحروف والجمل والآيات ليكشف معانيها وكذلك أمر عليه السلام أمته أن تزين القرآن بأصواتها وأن تتغنى بالقرآن.

وحتى لو سمعه غير العربي فإن الجرس الموسيقي المبدع من الله سبحانه في الآيات يجذب لسماعه غير العربي.

5- الآية التي يكون فيها طباق فإن هذا الطباق يتكرر مرتين في الآية فإن لم يتكرر فإنه يتبع في الآية التي بعدها فإن خلي من الآية التي بعده يكون فيها مقابلة.

6- استخدم الطباق كثيراً في هذه السورة؛ لأنها تحتوي على متضادات كثيرة، فهؤلاء الفتية أصحاب الكهف آمنوا بربهم، وهذا ملكهم وقومه قد كفروا بالله، وهذا صاحب الجنتين، كافر، وصاحبه مؤمن، وهذا موسى عليه السلام يبغي علماً عند الخضر الذي سيلتقي فيه، وهذا العلم ليس عند موسى عليه السلام.

وانظر إلى ذي القرنين مع أقوام آمنت وأخرى كفرت، وهذا مثال من ظلم نفسه وكان الجزاء، مقابلة من آمن بالله وعمل صالحاً وكان له الثواب والأجر العميم، وتأمل مشهداً من مشاهد القيامة وعرض الكتب التي لا تغادر الصغيرة والكبيرة العظيم والقطمير من الأعمال كلها صور وآيات، تستدعي أن يكون فيها الطباق.

7- لقد كان استخدام أنواع البديع الأخرى في عدد محدود من الآيات ، تم إيضاحها وبيانها في شرح الآيات و الجداول.

وإن جعل الله في العمر بقية، وأمدني بالعون والقوة، وأذن لي سبحانه بدراسة كتابه العزيز، فإني أنوي بحوله تعالى الاستمرار في دراسة هذه السورة من جوانبها البلاغية الأخرى.

وبعد فهذا البحث متواضعٌ بين أيديكم فإن كان صواباً فمن الله وإن كان فيه خطأ فمن نفسي والشيطان، سائلاً المولى أن يعينني على تصويب الخطأ قبل فوات الأوان.

ثانياً: التوصيات:

- المزيد من الدراسات للجوانب البلاغية لهذه السورة للكشف عن أسرار مكنوزة فيها.
- توجيه طلبة العلم للمزيد من الدراسات في الجوانب البلاغية في القرآن الكريم بصورة عامة.
- الإهتمام بإظهار جانب الإعجاز في أكثر من مجال إعلامي.
- نشر مقتطفات من النكت البلاغية للسور القرآنية في مواقع التواصل الإجتماعي .

قائمة المصادر والمراجع:

1- **القرآن الكريم.**

2- آبادي،مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز(1983).**القاموس المحيط**. بيروت:دار الفكر.

3- الجاحظ،أبوعثمان عمرو بن بحر(1948). ت عبد السلام هارون، **البيان والتبيين**.ط1، القاهرة:الخانجي.

4- الجرجاني، عبد القاهر(1948). ت أحمد المراغي، **أسرار البلاغة**. ط1، القاهرة: الخانجي.

5- الجرجاني، عبد القاهر (1998)، **كتاب التعريفات**. ط 1، بيروت: دار الفكر.

6- الجرجاني، محمد بن علي (1981). ت عبد القاهر حسين، **الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة**. ط1، القاهرة: دار النهضة.

7- الحموي، ياقوت بن عبد الله (1995). **معجم البلدان**. ط2، بيروت: دار صادر.

8- حوّى، سعيد (1985). **الأساس في التفسير**. ط1، القاهرة: دار السلام.

9- ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن (1987). **جمهرة اللغة**. ط1، بيروت: دار العلم للملايين.

10- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (2000). **التفسير والمفسرون**. ط7، بيروت:دار الفكر.

11- الزمخشري، جار الله محمود بن عمر (2005)، **تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**. ط2، بيروت: دار المعرفة.

12- أبو السعود، محمد بن محمد العمادي،**إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**.بيروت: دار إحياء التراث العربي.

13- السكاكي، يوسف بن أبي بكر (1983). **مفتاح العلوم**. ط1، بيروت: دار الكتب العلمية.

14- ابن عاشور، محمد الطاهر (1984)، **تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد**. تونس: الدار التونسية.

15- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله، ت علي البجاوي ومحمد أبو الفضل، **كتاب الصناعتين**. ط2، دمشق: دار الفكر العربي.

16- القزويني، أبو عبد الله زكريا بن محمد (1985). **الإيضاح في علوم البلاغة**. ط1، بيروت: دار الكتب العلمية.

17- قطب، سيد (1971). **في ظلال القرآن**. ط7، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

18- لاشين، عبد الفتاح (1999). **البديع في ضوء أساليب القرآن**.القاهرة: دار الفكر العربي.

19- مجمع اللغة العربية (1972). **المعجم الوسيط**. ط2، استانبول: المكتبة الإسلامية.

20- المراغي، أحمد مصطفى (1980). **علوم البلاغة**. ط1، بيروت: دار القلم.

21- مطلوب، أحمد (1975). **فنون بلاغية**. ط1، الكويت: دار البحوث العلمية.

22- ابن المعتز، أبي العباس عبد الله (1990). **البديع**. دمشق: دار الحكمة.

23- ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد (2002). **لسان العرب**. بيروت: دار الفكر.

24- نكري، القاضي عبد النبي عبد الرسول (2000). **جامع العلوم في اصطلاحات الفنون**. بيروت: منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

25- الهاشمي، أحمد بن مصطفى، **جواهر البلاغة**. ط2، بيروت : دار إحياء الكتب العلمية.

- **صفحات الكترونية**

26- النقر، الطيب عبد الرزاق (2009). **دراسة مناهج التأليف في علم البلاغة دراسة موازنة بين كتابي أسرار البلاغة وعلوم البلاغة**. الجامعة الإسلامية، ماليزيا، منتديات سودانيز أون لاين.

ملحق {1}:-

جدول بخلاصة عناصر المحسنات المعنوية في سورة الكهف:-

الرقم	رقم الآية	الكلمة	نوع المحسِّن المعنوي
1	1-110	جاءت الآية الأولى مقرة بالحمد لله وحده وإعلان التوحيد وجاءت الآية (110) لتثبيت هذا التوحيد وما بينهما من الآيات استطراد	استطراد
2	2	ينذر / يبشر	طباق
3	14	(السماوات / الأرض)	طباق
4	17	(ذات اليمين / ذات الشمال) (يهد / يضلل)	طباق
6	18	(أيقاظ / رقود) (ذات اليمين / ذات الشمال)	طباق
7	28	(الغداة / العشي)	طباق
8	24	(أذكر / نسيت)	طباق
9	26	(السماوات / الأرض)	طباق
10	29	(فليؤمن / فليكفر)	طباق
11	31/29	(نعم / بئس) (ساءت / حسنت)	طباق

الرقم	رقم الآية	الكلمة	نوع المحسّن المعنوي
12	49	(صغيرة / كبيرة)	طباق
13	51	(السماوات / الأرض)	طباق
14	51	(خلق / لا خلق)	طباق
15	56	(مبشرين / منذرين)	طباق
16	58	(الرحمة / العذاب)	طباق
17	63	(نسيت / أذكر)	طباق
18	90	(مغرب الشمس / مشرق الشمس)	طباق
19	106	(جهنم / جنات الفردوس)	طباق
20	40	زلقاً	مبالغة
21	41	غوراً	مبالغة
22	46	(المال / البنون)	الجمع
23	50	(الملائكة / إبليس)	الجمع
24	17	بين صورة دخول الشمس في الشروق والغروب	مقابلة
25	31/29	بين (بئس الشراب وساءت مرتفقاً) وبين (نعم الثواب وحسنت مرتفقاً)	مقابلة

الرقم	رقم الآية	الكلمة	نوع المحسّن المعنوي
26	88/87	بين الصورة في (أما من ظلم) وجزاؤه وبين الصورة في (أما من آمن) وثوابه	مقابلة
27	49	(صغيرة / كبيرة) طباق وسجع في آخر الآية	إبداع
28	31-29	(فليؤمن / فليكفر) طباق (مقابلة) بين جزاء من كفر وثواب من آمن.	إبداع
29	88-87	(من ظلم / من آمن) طباق جزاء من ظلم نفسه بالشرك / وثواب من آمن	إبداع
30	82-71	ابتداءً من (71) – (82) حوت هذه الآيات على هذا المحسن المعنوي	الطي والنشر
31	159	(وليتلطف)	ائتلاف اللفظ مع المعنى

❖ **ملاحظة:-**

الطباق الوارد في الآيات (106/51/26/24/14) لم يتم شرحه وقد تم شرح ما سواها من آيات الطباق.

ملحق {2}:-

جدول بخلاصة عناصر المحسنات اللفظية الواردة في سورة الكهف:

الرقم	رقم الآية	الكلمة	نوع المحسّن اللفظي
1	14	(قاموا / قالوا)	جناس
2	57	(مَنْ) الاستفهامية، و (مَنْ) الموصولة	جناس
3	104	(يحسبون / يحسنون)	جناس
4	109	(مداداً / مدداً)	جناس
5	(7/6)	(أسفاً / عملاً)	موازنة
6	(45/43)	(منتصراً / مقتدراً)	موازنة
7	(68-66)	(رشداً / خبراً)	موازنة
8	(74/73)	(عسراً / نكراً)	موازنة
9	(10/9)	رد عجز الآية (إذ أوى الفتية إلى الكهف) على صدر الكلام (أم حسبت أن أصحاب الكهف)	رد أعجاز الكلام على ما تقدمه
10	(4/3)	(أبداً / ولداً)	سجع
11	(11/10)	(رشداً / عدداً)	سجع

الرقم	رقم الآية	الكلمة	نوع المحسّن اللفظي
12	(20/19)	(أحداً / أبداً)	سجع
13	(22/21)	(مسجداً / أحداً)	سجع
14	(24/23)	(غداً / رشداً)	سجع
15	(27/26)	(أحداً / ملتحداً)	سجع
16	(34/33)	(نهراً / نفراً)	سجع
17	(39/38)	(أحداً / ولداً)	سجع
18	(48/47)	(أحداً / موعداً)	سجع
19	(49/48)	(موعداً / أحداً)	سجع
20	(55/54)	(جدلاً / قبلاً)	سجع
21	(61/60)	(حقباً / سرباً)	سجع
22	(63/62)	(نصباً / عجباً)	سجع
23	(68/67)	(صبراً / عذراً)	سجع
24	(70/69)	(أمراً / ذكراً)	سجع
25	(72/71)	(إمراً / صبراً)	سجع

الرقم	رقم الآية	الكلمة	نوع المحسّن اللفظي
26	(74/73)	(عسراً / نكراً)	سجع
27	(76/75)	(صبراً / عذراً)	سجع
28	(78/77)	(أجراً / صبراً)	سجع
29	(83/82)	(صبراً / ذكراً)	سجع
30	(85/84)	(سبباً / سبباً)	سجع
31	(88/87)	(نكراً / يسراً)	سجع
32	(91/90)	(ستراً / خبراً)	سجع
33	(108/107)	(نزلاً / حولاً)	سجع
34	(110/109)	(مدداً / أحداً)	سجع

❖ **ملاحظة:-**

تم شرح السجع الوارد في الآيات تحت الأرقام من (10-14) في الجدول واكتفينا بذكر باقي الآيات في الجدول دون الشرح.